776

الطبيب الرحالة

ابن حمادوش الجزائري

حياته وآثاره

الدكتور أبو القاسم سعد الله

ديوان
المطبوعات الجامعية
الجزائر 1982

الطبيب الرحالة

ابن حمادوش الجزائري

حياته وآثاره

الدكتور أبو القاسم سعد الله

ديوان المطبوعات الجامعية
الجزائر - 1982

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

هذه الدراسة تتناول عبدالرزاق بن حمادوش الجزائري في حياته وآثاره الموجودة. وقد كاد النسيان يأتي على هذه الشخصية الهامة في تاريخنا الثقافي لولاقبسات من روحه التواقة جعلت الباحثين يهتمون به بعد وفاته بحوالي قرن من الزمان. فقد عاش ابن حمادوش خلال القرن الثاني عشر للهجرة (18م) واسهم فيه برحلاته وكتاباته وتجاربه الطبية. وكان مسجلا للاحداث المعاصرة ومشاركا فيها. وكانت له ، رغم الركود الذى أصاب الحياة الثقافية في العالم الاسلامي، تطلعات وآثار ثاقبة. وقد عاش حياة فقيرة عانى منها جسديا وفكريا، وكانت الضحية في ذلك هي كتبه وأوراقه التي لم يصلنا منها الا القليل.

وقد بدأ اهتمامي بابن حمادوش منذ حوالي عقد من الزمان. ذلك انني كنت ابحث في كل المظان عن الذين اسهموا في الحياة الثقافية الجزائرية، سواء كانوا من المشاهير كأحمد المقرى وأبي رأس أو من المغمورين كابن علي وابن حمادوش. واذا كانت شهرة بعض علماء العصر قد جاءت من وظيفتهم في الافتاء، مثل سعيد قدورة أو من مشاركتهم في الحياة السياسية مثل ابن العنابي، فان شهرة ابن حمادوش اليوم تقوم على شذوذه الفكرى. فقد اهتم بالثقافة العلمية من طب وصيدلة وفلك وحساب في عصر سادت فيه الثقافة الفقهية والادبية والتصوف. واذا كان علينا أن نهتم بكل المساهمين في الحياة الثقافية فان اهتمامنا بابن حمادوش بالذات يعود الى ما أسميناه بالشذوذ الفكرى.

والواقع انني لست أول من كتب عن ابن حمادوش.فقد سبقني الى ذلك ليكليرك الذى ترجم لابن حمادوش كتابه (كشف الرمور) وكولان الذى وضع عنه رسالة دكتوراه في الطب، كما ظهرت عنه بعض الصفحات والفقرات والسطور من طرف كتاب التراجم والرحلات. غير أن الذين تناولوا ابن حمادوش قبلي لم يكونوا قد استفادوا من رحلته وبعض آثاره الاخرى. ومن ثمة ظلت حياته ومساهمته العلمية ومنزلته بين معاصريه غامضة وغير محدودة.ولذلك فاننا نعتقد اننا بتقديمنا لهذه الدراسة عنه نكون قد اضفنا جديدا ليس فقط الى شخصية ابن حمادوش ولكن الى عصره ومعاصريه أيضا. كما أن هذه الدراسة تعتبر مساهمة أخرى من طرفنا في القاء الضوء على الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني بعد كتابنا (تاريخ الجزائر الثقافي) وكتابنا (ابن العنابي رائد الاصلاح الاسلامي). ونحن نرجو أن نوفق الى وضع دراسة مشابهة عن عبدالكريم الفكون وأحمد بن عمار ومحمد بن الشاهد وأبي راس الناصر واضرابهم من رجال العهد العثماني. كما نرجو أن نوفق الى نشر ديوان ابن علي الذى عثرنا على قصائد جديدة منه.

ولعل بعض القراء يتساءلون عن علاقة هذه الدراسة برحلة ابن حمادوش التي وعدت بتحقيقها ونشرها، وها أنا أوضح ذلك هنا ذلك انني كنت فكرت في جعل هذه الدراسة مقدمة لتحقيق الرحلة. ولكني بعد التأمل في حجمها ومحتواها عدلت عن ذلك وقررت اصدار الدراسة منفصلة عن الرحلة.أما نص الرحلة فساكتفي في تقديمه بوصف المخطوطة وطريقة التحقيق،مقتصرا في عرض حياة المؤلف على بعض الحقائق العامة ومحيلا من أراد المزيد على هذه الدراسة.

ان قيمة المثقف اليوم تتجلى في مواقفه من قضايا عصره وفي تمثله وادراكه لكنه هذه القضايا وفي نظراته البعيدة غير المقيدة بالمكان والزمان والمصالح الشخصية الآنية. والمثقف الحقيقي لايرضى أو يسترضى من أجل لقمة العيش أو

الوصول الى منصب أو جاه، ولايقدم قلمه قربانا لاصنام بالية مهما بلغت من الجبروت. وفي سيرة ابن حمادوش ما يدل على أنه كان هذا المثقف الواعي النزيه.أليس هو القائل ((كان من فضل الله علي أن لم أجعل علمي سلما للدنيا، ولم أنل به شيئا، ولم أمدح أحدا لطمع ...)) وما احوجنا اليوم الى المثقف الحر الذى يسير في هذا الدرب ويتبنى هذا الموقف .

مدينة الجزائر ـ 26 ـ مارس ـ 1980

أبو القاسم سعد الله القهارى

الثراء

7 ـ [illegible]

8 ـ تلاميذه

9 ـ خصومه وأصدقاؤه

10 ـ وظائفه

11 ـ تجاربه العلمية

12 ـ شعره

13 ـ مقاماته

14 ـ هو والتصوف

1 ـ عـصـــره :

اذا تحدثنا عن عصر ابن حمادوش فانما نعني القرن الثاني عشر الهجرى (18م) وقد عرف هذا القرن تحولات كثيرة داخل الجزائر وخارجها وكان ابن حمادوش من مشاهديها ومن مسجلي آثارها.فقد ولد في فاتح القرن المذكور (سنة 1107) وعاش حتى أدرك التسعين على الاغلب وسنعرف أنه عاش في وطنه كما تنقل في عواصم ومدن العالم الاسلامي العربي عندئذ، فاس وتطوان ومكناس وتونس والقاهرة ورشيد والحجاز وغيرها. وقد خالط ودرس على علماء هذه البلاد واستفاد من تجارب أهلها في مختلف الميادين. فهو اذن شاهد على عصره كما تشهد آثاره الباقية.

ففي الجزائر تغير نظام الحكم على عهد ابن حمادوش من عهد كان الحكم فيه ثنائيا الى عهد استقل فيه الحاكم بالسلطتين التمثيلية والتنفيذية. فأثناء العهد الاول الذى بدأ أواخر القرن الحادى عشر كان ممثل السلطان لا كلمة له في شؤون البلاد، وانما كان ينعم بلقب (الباشا) وبمرتب مرتفع واعتبار سام. أما الحكم الحقيقي فقد كان في يد (الداى) أو الدولاتلى الذى يختاره الاوجاق ويبقى في الحكم ما دام يرضى رغباتهم ويحقق مطالبهم في الاجور العالية والتنفذ السياسي. وقد استمر هذا العهد الى سنة 1124 (وكان عمر ابن حمادوش عندئذ سبعة عشر عاما) حين استقل أوزن على بالوظيفتين(الباشوية والدولاتلية) . وهو العهد الذى ظل طيلة حياة ابن حمادوش بل الى الاحتلال الفرنسي للجزائر وقد تميز هذا العهد من الناحية السياسية باستقلال كبير للجزائر عن الدولة العثمانية فلم يعد السلطان يرسل ممثلا عنه وانما كان يكتفي بتثبيت من يقع عليه اختيار الاوجاق في الجزائر. وقد ذكر ابن حمادوش في رحلته حادثه تدل على هذا الاستقلال اذ قال ان السلطان قد أرسل ذات مرة ممثلا عنه الى الجزائر فلم يستقبله أحد في المرسى. وفي بداية شبابه أيضا استرجعت الجزائر وهران من اسبانيا المرة الاولى (سنة 1119) وظلت كذلك حوالي ربع قرن، ثم عاد الاسبان اليها (سنة 1145) ولم تعد الى

الجزائر نهائيا الا سنة 1205 . والغالب أن ابن حمادوش عندئذ كان من الأموات. ومن جهة أخرى عرفت الجزائر في عهده حكاما أقوياء أمثال أوزن علي ومحمد بن عثمان باشا وعلي باشا المعروف بوصبع. كما ظهر بايات أقوياء أمثال مصطفى بوشلاغم وخليفته ابن المسراتي واسرة ابن عثمان في الغرب الجزائري، ومصطفى الوزناجي ومحمد فريرة (الذباح)في الوسط وصالح باي وحسن كيلاني وبوحنك في الشرق.

ورغم هذا المظهر السياسي القوى الذي يثبته ابن حمادوش في وثائقه بشيء من الاعجاب عندما تعرض لقضية الاسرى المسلمين عند النصارى والصلح مع الدنمارك الخ، فان الحياة الاقتصادية كانت قد اخذت في التدهور. فالغزو البحري قد ضعف كمصدر من مصادر الثروة في البلاد وتجارة العبيد قد أخذت أيضا في الضمور بعد أن عرف الاوربيون طريقها على سواحل افريقية الغربية ، واستولى اليهود على التجارة الداخلية والخارجية، وفرضت الدولة الضرائب الثقيلة على السكان لتعوض بها ما فقدته من البحر، كما خفضت العملة عدة مرات مما تسبب في التضخم المالي، وغلاء المعيشة. ومن ناحية أخرى كان الفلاحون يعانون من الضرائب ومن مضاربات وحيل اليهود لشراء انتاجهم الزراعي وانتاج الماشية بأبخس الاثمان وبيعها بأسعار عالية في الاسواق الاوربية. كما فقدت فئة التجار الجزائريين في المدن (وخصوصا أهل الاندلس) مكانتها الاقتصادية بسبب ظهور اليهود المنافسين لها ولاسيما على المستوى الدولي. وعرفت الجزائر في عهد ابن حمادوش عددا من الجوائح كالطواعين والزلازل. وقد ذكر بعضا من ذلك في رحلته وقيل أنه ألف فيه. وهكذا كان عصر ابن حمادوش من الناحية الاقتصادية عصر تدهور وفقر. ولذلك لا نستغرب حين نجده يكثر من الحديث عن فقره هو ايضا وأحواله الاجتماعية السيئة.

وكانت الفئة التي ينتمي اليها في المجتمع هي فئة الاشراف أو آل البيت، وهي كانت أيضا فقيرة بالنسبة الى الفئات الاخرى. فقد انشئت لهم زاوية

وأوقاف خاصة وكانت لهذه المؤسسة ادارة ووكيل.كما كان لهم نقيب يحضر في المناسبات الكبيرة مثل تولية الولاة.وكان بعض هؤلاء يعطف عليهم ويوقف عليهم الاوقاف أيضا مثل محمد بكداش باشا.أما الفئات الاجتماعية الاخرى فهي فئة التجار والحرفيين،وفئة العلماء ورجال الدين بما في ذلك المرابطون،وفئة الموظفين السامين من أتراك وكراغلة الذين كان منهم الوزراء والخوجات والبايات والخلفاء ونحوهم. وكانت عائلة ابن حمادوش من أصحاب الحرف كما سنرى، ولكن الظاهر انه لم يستفد منها لانه لم يتحدث عنها في حياته ولم يذكرها (وهي حرفة الدباغة) الا مع اسم والده وعمه.

وقد تميز عصره أيضا بشيء من الانتعاش الثقافي.ففي القرن الثاني عشر الهجرى عرفت الجزائر اسماء لامعة في الانتاج الادبي والفقهي والتاريخي والعلمي. ففي ميدان الادب هناك شيخه محمد بن ميمون وصديقه أحمد بن عمار وخصيمه ابن علي، وفي الفقه ونحوه ظهر أحمد البوني وخليفة بن حسن القهاري وعبدالقادر الراشدي، وفي التاريخ نجد أبا راس وابن المفتي، وفي التصوف يكفي الاشارة الى الحسين الورتلاني،ومحمد بن حواء، كما ألف ابن علي الشريف في الفلك.وهناك قائمة طويلة من المفتين المالكية والحنفية تداولوا على وظيفة الفتوى وكان فيهم المدرسون المشهود لهم والشعراء والمؤلفون، نذكر منهم حسين العنابي، ومحمد بن نيكرو، ومحمد بن جعدون، ومحمد بن الشاهد وعلي بن عبدالقادر بن الامين. وفي عهد ابن حمادوش أيضا نلاحظ كثرة الاوقاف على المساجد وبداية العناية بالتعليم ولاسيما في قسنطينة على يد صالح باي. ولكن لايمكننا القول بأن الجزائر على عهد ابن حمادوش كانت تشهد نهضة أو ازدهارا ثقافيا.ذلك أن معظم علمائها كانوا ما يازالون عالة على المعاهد الاسلامية في فاس وتونس والقاهرة.كما انهم لم يستفيدوا شيئا من الناحية العلمية من تجارب الاوروبيين في حقل النهضة.

سافر ابن حمادوش كثيرا وخبر أحوال العالم الاسلامي السياسية والاقتصادية والثقافية.وقد ترك لنا وصفا حيا عن تجربته في المغرب سنعرض اليه.

وهزته هناك الاضطرابات الداخلية التي عرفها المغرب خلال القرن الثاني عشر حتى كاد ابن حمادوش يذهب طعمة لها. وقد انتصر للنظام على الفوضى كما تشهد لذلك عباراته. ونفهم من حديثه أيضا أنه كان يفضل النظام العربي القائم في المغرب على النظام التركي الحاكم في بلاده. كما انتقد الظلم المتمثل في فرض المكوس وتجبر الحكام وانتقام الترك من قرى زواوة بحرقها ونحو ذلك. فهو مع النظام، ولكن كان ضد الظلم والانتقام. ولا نستطيع أن نعرف وجهة نظره في نظام تونس ومصر وغيرهما من النصوص التي بين أيدينا لانها غير كاملة. ومع ذلك فان تونس على أكثر عهده كانت تدفع الضريبة للجزائر وكانت هناك حروب متوالية بين حكام البلدين الاتراك فيها كثير من الانتقام والفوضى.

وكان ابن حمادوش يحب بلاده وينتصر لها حتى أنه فرح باجتماع بعض أمراء تونس وأمراء المغرب مع أمير الجزائر والصلاة معه في الجامع الكبير بعد أن كان مخططا أن يتحالف أمراء تونس والمغرب المذكورون ضد حاكم الجزائر، واعتبر ابن حمادوش ذلك من الالطاف الالهية . وكانت طرابلس ومصر والحجاز أيضا ايالات عثمانية فيها ما في الجزائر من فوضى وتخلف عقلي ومعاناة اقتصادية. غير أن الحياة الثقافية كانت فيها بدون شك أفضل من الجزائر، ولا سيما مصر التي أقام فيها ولعله قد تزوج بها من جديد. أما الدولة العثمانية نفسها فقد كانت تمر بمرحلة التدهور البطيء وقد عرفت الهزائم المتعددة خلال القرن الثاني عشر في مختلف الميادين. وكان تقدم أوربا البحري والصناعي قد ضيق عليها الخناق ولم تعد تملأ أعين المسلمين، ولاسيما العلماء منهم أمثال ابن حمادوش. وقد ذكر في رحلته قائمة سلاطين آل عثمان الى السلطان محمود الاول، الذي تولى سنة 1143، دون أن يذكرهم بالخير أو الشر. وكان أمثاله يدعون بالخير للسلطان الحاكم منهم على الاقل.

والغالب أن ابن حمادوش كان على صلة ولو بسيطة بأحداث أوربا، رغم اننا لا نجد أنه ذهب هناك أو تأثر مباشرة بما كان يجري. وكل ما وجدناه أنه كان

صاحب عقل لاقط وأنه اهتم بالعلوم العملية واشتغل بالكتب المترجمة عن النصاري كما يقول، وسافر وعاد من المغرب على مركب يقوده أحد الفرنسيين واكتراه أحد تجار الجزائر، ووصل الى جبل طارق ولكن لم يسمح لمركبهم بدخول مينائه لوجود الوباء في المركب.فاذا كان هناك عنده تأثر بالانتاج الاوربي فهو استفاده من أعمال اليونانيين وغيرهم مترجمة الى العربية وليس من أعمال الاروبيين المعاصرين له، أى أنه كان يعيش على نفس التراث الذى استفاد منه علماء النهضة الاروبيين، بينما كان زملاؤه العلماء الجزائريون لا يقيمون وزنا لهذا التراث الذى أصبح في الواقع تراثا اسلاميا بعد ترجمته وطبعه بالحضارة العربية الاسلامية.

2 ـ أولياته :

ضبط ابن حمادوش اسمه بنفسه في الاجازة التي كتبها بخطه ليوقع عليها له الشيخ أحمد بن المبارك السجلماسي على النحو التالي :((وأنا الفقير الى الله عبدالرزاق بن محمد بن محمد بن حمادوش الجزائرى الدار والمنشأ)) وبذلك ضبطه أيضا في عقدى زواجه اللذين أورد نصهما في الرحلة. ففي العقد الاول كتبه هكذا:((عبدالرزاق ابن الحاج محمد ابن حمادوش)) وفي العقد الثاني هكذا : ((عبدالرزاق ابن السيد محمد ابن حمادوش، به شهر))كما أن السيد لوسيان ليكليرك ، الذى كان أول من كتب عن ابن حمادوش فيما نعلم، قد كتبه ((حمادوش))بميم مخففة وألف بعدها (1) ولكن السيد خونزاليز كتبه كالتالي: عبدالرزاق ابن محمد بن أحمدوش، بزيادة الالف في أول الاسم وحذفها بعد الميم (2) رغم اننا نرجح أن يكون خونزاليز قد اطلع على الرحلة واستفاد منها، كما سنرى. ونفس هذا الرسم قد أتبعه السيد غبريال كولان (3). أما بروكلمان فقد

1. ليكليرك (تاريخ الطب العربي) 2 308. وبذلك ضبطه أيضا السيد ابن سودة في (دليل مؤرخ المغرب) 405
2. خونزاليز (مشاهير مسلمي مدينة الجزائر).الجزائر 1886، 19
3 ـ كولان (الطبيب العربي عبدالرزاق الجزائري) الجزائر 1905

كتبه حمادوش بألف بعد الميم المشددة، غير أنه وضع لفظ أحمدوش بين قوسين دليلا على أنه كان غير متأكد من النطق (4).

ولعل هذا الخلاف في ضبط اسم ابن حمادوش يعود الى أن هؤلاء الباحثين لم يطلعوا على الرحلةالتي ضبط فيها، كما رأينا، اسمه بنفسه سواء في الاجازة أو في العقدين. ونحن بالطبع نطمئن الى ما جاء في الرحلة وبذلك تكون ((ابن حمادوش)) هي شهرة المؤلف وشهرة والده أيضا. ولكن الشك يظل قائما في هل ينطق ((حمادوش)) بتخفيف أو تشديد الميم (5).

ولد ابن حمادوش في شهر رجب عام 1107ه الموافق 8أغشت (هكذا يكتب هو شهر أغسطس) عام 1695م. وقد ضبط هو نفسه في الرحلة أيضا تاريخ ولادته. فعندما وضع قائمة باسماء ولاة الجزائر قال عن الاجه أحمد باشا انه تولى سنة 1107 مضيفا عبارة ((وفي هذه السنة ، في رجب، كانت ولادتي)) وفي مكان آخر منها قال وهو يتحدث عن حوادث سنة 1158 ((وفي يوم الخميس ثاني وعشرين رجب الاصب آخر يوم من عام 51 أحد وخمسين عربية من ولادتي وأول يوم من عام 52 أثنين وخمسين، رزقنا الله خيرها ... وكان وافق ثامن أغشت)).

وقد اكتفى السيد ليكليرك، الذي لم يطلع على الرحلة بالقول بأن تاريخ ميلاد ابن حمادوش يعود الى القرنين السابع عشر والثامن عشر، بدون تحديد (6) اما السيد خونزاليز الذي اطلع على الرحلة فقد أرخ لولادة ابن حمادوش بشهر رجب عام 1107ه وشهر اغسطس عام 1695م (7) ورغم وجود كتاب خونزاليز

4 ـ بروكلمان ، ذيل 2 ـ 313.

5 ـ وجدنا أثناء دراستنا بعض الأسماء الأخرى في شرق البلاد وغربها يحمل أصحابها أيضا شهرة " حمادوش

6 ـ ليكليرك 2 ـ 308.

7 ـ خونزاليز 19.

مطبوعا فان السيد كولان قد اكتفى بالقول بأن ابن حمادوش كان من معاصري النصف الاول من القرن الثامن عشر، وأضاف بأنه قد يكون ولد عام 1700 وانه قد يكون عاش حتى بلغ ستا وتسعين (8) سنة ولكن كولان لم يذكر مصدره في هذه المعلومات. ورغم اطلاعنا نحن على الرحلة وغيرها من مصادر ابن حمادوش فاننا الى الان لا ندري متى ولا ابن توفي . وكل ما استطعنا معرفته هو أنه كان ما يزال حيا سنة 1168 وانه كان وقتها بمدينة الجزائر.

وعبارة الجزائري التي تذكر مقرونة باسمه في بعض الوثائق تدل على انه من مواليد مدينة الجزائر.ونلاحظ ان هذه العبارة لم تضف الى اسمه في الوثائق الرسمية بالجزائر كالعقود الزوجية، كما أنها لم ترد في المخاطبات والشهادات التي منحت له وهو في مدينة الجزائر مثل تعزية المفتي محمد بن حسين له في ولده وشهادة أحمد بن عمار له على قراءة كتابه على أحمد الورززي المغربي، ونحو ذلك، ولكنها كانت تضاف الى اسمه عندما كان خارج بلاده. فالاجازات التي منحها له علماء المغرب توجد فيها عبارة الجزائري ملاصقة لاسمه. وبذلك تكون العبارة للنسبة الى مسقط رأسه (مدينة الجزائر) كما هي عادة كثير من علماء المسلمين عندئذ، وليست على كل حال نسبة الى الجزائر القطر. ولا نعتقد أن السيد كولان على صواب حين استنتج من عبارة الجزائري بأنها تدل على أن ابن حمادوش قد يكون عاش وكتب في الجزائر، ولكن لفظه الجزائري اضيفت الى اسمه حتى لا يختلط على الناس بسميه جلال الدين عبدالرزاق الذي عاش في القرن الرابع عشر الميلادي وكان معروفا بالتصوف (9) ولعل ما ذكرناه، اعتمادا على الوثائق

8 ـ كولان 35.

9 ـ نفس المصدر، 37 وممّن أشتهر « بالجزائري » أيضا أحمد بن عمار ومحمد بن العنابي وعيسى الثعالبي. وفي العهد الفرنسي اشتهرت في مصر والشام عائلات من أصل جزائري بذلك أيضا مثل أسرة الامير عبدالقادر، وعائلة السمعوني بالشام. واذا كانت النسبة في العهد العثماني الى مدينة الجزائر فانها في العهدالفرنسي قد أصبحت للقطر كله.

الواردة في الرحلة، يلغي مثل هذا الاستنتاج الذي جاء نتيجة لعدم توفر كتابات ابن حمادوش لدى السيد كولان.

3 - أسرته وحرفتهـــا :

ومن كل الدلائل التي جاءت في الرحلة نعرف أن أسرة ابن حمادوش كانت متوسطة الحال، بل لعلها أقرب الى الفقر منها الى الغنى. وهي تنتمي الى فئة الحرفيين في مدينة الجزائر. وكانت هذه الفئة تمثل، مع فئة التجار، عصب الحياة الاقتصادية في المدينة، ولكنها كانت لا تملك وسيلة لتولي المناصب السياسية أو التأثير في الشؤون السياسية. وقد انصرف ابن حمادوش الى التجارة واحترف العلم فكان نصيبه منهما الفقر لا الغنى . ولعل هذا هو ما يكشف عن سر اهمال المترجمين المعاصرين له، رغم علمه. فقد كانت الترجمة أيضا نوعا من التاريخ الطبقي عند العلماء، وكما كان المؤرخون لا يهتمون الا بالملوك ومشاهير الامراء والاعيان كذلك كان المترجمون لا يتناولون في أغلب الاحيان الا مشاهير الادباء والمتصوفين والمداحين. ولم يكن ابن حمادوش واحدا من أولئك ولا من هؤلاء. فهو، رغم علمه، لم يتقلد وظائف ادارية ولا مناصب دينية كالفتوى والقضاء والتدريس الرسمي ولم يتقرب الى الولاة والوزراء والسلاطين. ولم يكن له ما يفتخر به بين معاصريه سوى العلم في معناه الواسع والانتساب الى آل علي بن أبي طالب كرم الله وجه (الاشراف) والغريب ان ابن حمادوش لم يذكر اسم والده أو يتحدث عنه في الجزء الثاني من الرحلة (وهو الموجود منها) باستثناء ما جاء عرضا في النصوص التي تضمنتها الرحلة كالاجازات وعقود الزواج.

وهناك أربع حرف على الاقل ذكرها ابن حمادوش متصلة بأسرتـه، وهـي الدباغة والحرارة والصفارة والنجارة. أما الدباغة فقد وردت اثناء الحديث عن والده وعمه في عقد زواجه هو وعقد زواج أخته. ففي عقد زواج أخته أسيا جاء

أنها ((البكر في حجر والدها، المكرم الاجل السيد الحاج محمد الدباغ ابن حمادوش)). اما في عقد زواجه هو على ابنة عمه فقد جاء فيه أنه تزوج فاطمة الابنة البكر لعمه الحاج أحمد الدباغ. ورغم أن عبارة الدباغ قد تكون وصفا وقد تكون لقبا فاننا نرجح استعمالها في المعنى الاول، ذلك انها لو كانت لقبا للعائلة للقب بها ابن حمادوش ايضا في مراسلاته واجازاته، وبذلك تكون الدباغ وصفا لحرفة الدباغة التي كان يمارسها والده وعمه . أما لقب وشهرة العائلة فقد عرفنا أنها ابن حمادوش.

اما الحرارة والصفارة فنجدهما مذكورتين في عقد زواجه هو الثاني وفي عقد زواج اخته السابق.ففي زواج اخته المذكورة ان خطيبها هو السيد علي الحرار بن الحاج على ((أمين الحرارين كان))، وفي العهد العثماني كان لكل حرفة امينها الذى يسهر على شؤونها وهو المسؤول على أصحابها عند الدولة. وجاء في عقد زواج ابن حمادوش الثاني الاشارة الى حرفة الصفارة التي نرجح انها تعني الاشتغال بالنحاس ومشتقاته.فقد ذكر هو نفسه ذلك في قوله ((وعقد لي على بنت الصفار... انكحها أخوها الشقيق المكرم السيد أحمد أمين جماعة الصفارين)).

ومن ناحية أخرى تحدث ابن حمادوش في عدة مناسبات عن التجارة التي مارسها هو. فعندما كان في المغرب أخبر أنه وزملاءه الجزائريين قد أكتروا سفينة تجارية ذهابا وأيابا، وفصل القول في نوع البضاعة التي حملها من الجزائر الى المغرب لبيعها هناك وتلك التي حملها معه ايضا من المغرب الى الجزائر.وقد وصف كيف تخلص من المكس في تطوان والجزائر. وكان له دكان قبالة الجامع الكبير بالعاصمة يسفر فيه الكتب ويبيعها ويقرأ فيه ويتدارس المسائل، ولعله كان يبيع فيه غيرها أيضا. وجاء من أخباره في هذا الصدد أيضا أنه مرة دار عليه الفقر فغضبت منه زوجه وذهبت الى دار أهلها وخرجت عنه حتى أمه وأخوه وعيرته أمه تعييرا شنيعا، ولكن الحظ ابتسم له ذات مرة فسجل في رحلته انه باع سلعته ورزق بعض المال وتحسنت حاله. وكانت علاقات المصاهرة شائعة بين أصحاب الحرف في الجزائر العثمانية كما كانت بين فئة العلماء والاشراف والمرابطين. ونلاحظ

أخيرا أن ابن حمادوش لم يحترف حرفة اسرته وانما اتجه الى العلم، ولعله الوحيد من اسرته الذى فعل ذلك.

4 ـ زواجـه وأولاده:

عـرفنا حتى الان بـعض أفراد أسرته: والده وأمه وأخوه وأخته وزوجـاه (فاطمة، وزهراء) وعمه . وقد نشير الى أفراد آخرين من هذه الاسرة. ولعل والد ابن حمادوش قد توفى بينما كان الابن ما يزال شابا. ذلك اننا لا نجده قد حضر عقد زواج ابنه (عبدالرزاق) الاول الذى كان سنة 1125 بينما حضر عقد زواج ابنته سنة 1119 والغالب أن يكون الحاج محمد الدباغ ابن حمادوش (والده) قد توفى بين التاريخين المذكورين. بل اننا نجد في عقد الزواج ما يدل على وفاة والده قبل سنة 1125، فقد جاء فيه أن عمه (وهو المصاهر له) قد التزم له بالسكنى عنده مدة الزوجية ((من غير كراء يلزمه)) وقد جرت العادة أن الابن يظل ساكنا مع والده بعد الزواج. ولكن ما دام ابن حمادوش ما يزال صغير السن (حوالي 18 سنة فقط عند زواجه الاول) وما دام والده في الظاهر قد توفى، فان عمه المصاهر له قد التزم له بالسكنى والرعاية وزوجه من ابنته. ونحن نفهم من ذلك أيضا شدة فقر ابن حمادوش في هذه المرحلة من حياته.

ولا ندرى الآن كم دام هذا الزواج ولا مانتج عنه. وكل ما نعرفه هو ان ابن حمادوش قد تزوج مرة أخرى عام 1153 أى بعد ثمان وعشرين سنة من زواجه الاول. فهل انتهى الزواج الاول بوفاة زوجه ، ابنة عمه فاطمـة، أو انتهـى بالطلاق ؟ لانستطيع الاجابة على ذلك الان. والظاهر أنه كان له ابناء من زواجه الاول. فقد زار المغرب سنة 1145 وأثناء ذلك قال قصيدة في السلطان عبدالله بن اسماعيل اشار فيها الى أهله وأولاده.

وقلت لعلي أدرك العز عنده واترك أولادى وأهلي بذى قفر

ولكنه على كل حال لم يكشف عن اسماء أولاده ولا عن عددهم وقد أشار مرة الى أنه ختن أحد ابنائه سنة 1157 ويبدو أنه كان قد تجاوز السادسة من عمره لانه هرب منه الى الشارع عندما فهم مهمة الحلاق الذى جاء ليختنه في البيت. كما ذكر ابن حمادوش في مناسبة أخرى أنه كان له ابن يقرأ القرآن في أحد الكتاتيب وانه قد نقله من مكتب العمالي الى مكتب الشماعين، بعد أن بلغ الطفل سورة قد سمع الله ويبدو من الأكيد أنه كان الى سنة 1145 متزوجا من ابنة عمه وأنه كان له منها أولاد.

وقد تزوج ابن حمادوش ثانية سنة 1153 من امرأة ثيب متوفى عنها، تدعى زهراء (وهو يكتبها في رحلته زهرا - بدون همزة) بنت الصفار. وقد عرفنا أن أخاها كان أمين الصفارين بمدينة الجزائر. والظاهر انه لم يكن سعيدا مع هذه المرأة لكثرة الشكوى منها. وقد اخبر مرة انها لم تتزوجه الا لماله، ولذلك غضبت منه وأرادت فراقه عندما نضب ماله وأصابته الخسائر ((ولو يبق لها غرض في)) ومع ذلك وصفها في احدى مقاماته بالجمال والدلال والعزة. ويبدو أن سبب دالتها عليه هو أنها من عائلة أغنى من عائلته وانها كانت تصغره في السن كثيرا. فكان الانسجام بينهما قليلا، يضاف الى ذلك أن أمه وأخاه وأخته كانوا يسكنون معه وكانوا عالة عليه. ومهما كان الامر فقد انجب من زهراء ولدين توأمين وهما الحسن والحسين وقد توفى له الاخير بعد أن عاش حوالي عامين. ونحن لا ندرى كيف انتهت حياته الزوجية والعائلية بعد سنة 1160، وهو آخر تاريخ فصل فيه بعض الحوادث في رحلته.

5 - ثقافتـه وأسفاره :

كثيرا ما افتخر ابن حمادوش بأنه أخذ العلم قراءة وليس عن طريق الاجازة والسماع كما كان يفعل بعض المعاصرين له. واذا كان قد ذكر كثيرا من قراءاته

وشيوخه وهو كبير فانه لم يذكر شيئا من ذلك وهو صغير.فعمن أخذ العلم في صباه؟ لعله قد دخل الكتاب، كما هي العادة، فحفظ القرآن الكريم وتعلم على الطريقة المتبعة عندئذ من التدرج في حفظ المتون وتعلم العمليات الحسابية. ثم ارتقى في السلم الى ان أصبح من الطلاب. ان ما يلفت النظر هو أن والده لم يكن حتى من أشباه العلماء لانه يذكره مقرونا بوصف الحاج محمد أو السيد محمد فقط كما أنه أضاف لاسم عمه وصف الحاج فقط. وعندما افتخر ابن حمادوش امام المفتى الحنفي، ابن علي، لم يفتخر بعلم أسرته ولا مكانتها الاجتماعية والسياسية وإنما افتخر بشرفه ونسبته الى آل علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه .

وقد ورد ذكر (عبدالرزاق بن حمادوش) في عقد زواجه الاول مجردا عن كل ألقاب العلم سواء له أو لاهله ـ هكذا ((المكرم الشاب عبدالرزاق بن الحاج محمد ابن حمادوش))أما في عقد زواجه الثاني ـ وكان عمره اذاك ستا وأربعين سنة ـ فقد وصف بالنسك والفقه والعلم والنباهة ـ هكذا ((المكرم الاصل، الناسك الابر، الفقيه العالم، النبيه السيد الحاج عبدالرزاق ابن السيد محمد ابن حمادوش))ان هذه الاوصاف قد نالها بعد أكثر من ثلاثين سنة من التحصيل العلمي والاسفار. وسنرى أن شيوخه كانوا كثيرين وأن ثقافته كانت غزيرة ومتنوعة.

وتثبت التواريخ التي لدينا أن ابن حمادوش كان كثير التنقل والاسفار. وقد سجل هو ذلك في احدى قصائده التي قالها في السلطان عبدالله، سلطان المغرب:

وجبت بلاد الترك والعرب والعجم على قدمي طورا وطورا على الحمر

وبناء على هذا القول فقد تجول في بلاد الشرق المختلفة الاجناس، تارة على ظهور الرواحل وتارة سيرا على أقدامه. وجاء في كتابه (كشف الرموز) عند

حديثه عن مادة (باذزهر) قوله:((ولي صنعه فيه أخذتها في مصر سنة ثلاثين ومائة وألف، عام حججت))(10) وهو هنا يشير الى حجته الاولى ، أى عندما كان عمره ثلاثا وعشرين سنة فقط . ونفس التاريخ، وهو سنة 1130، قد أورده في الرحلة أيضا أثناء الحديث عن أصل العود الموسيقي. فقد قال انه كان بمدينة سوسة بتونس في طريقه الى الحج وكان نازلا بأحد فنادقها فرأى قوما يضربون العود ورأى امام مسجد المدينة قد خرج اليهم ووقف طويلا متأملا، ثم أخذ (الامام)يقص على صاحبه أصل العود. وسمع ابن حمادوش ذلك عنه فسجله في الرحلة (11)

ورغم تردده على بلاد المغرب، حسبما تشير اليه كتاباته، فانه قد سجل لنا في الرحلة تاريخين كان انتاءهما هناك . فقد ذكر أنه نظم سنة 1145 قصيدة في السلطان عبدالله أثناء توليته الأولى، قائلا ((جعلت فيه (أى السلطان) قصيدة حين عرض لي أن ألقاه فأغناني الله عن لقياه))، ولاشك أنه أشار الى ظروف سفره الى المغرب عندئذ في الجزء الاول المفقود من الرحلة. أما التاريخ الثاني الذى جاء في رحلته عن وجوده بالمغرب فهو عام 1156. وسنعرف أن مدة اقامته هناك قد دامت من محرم من تلك السنة الى مارس سنة 1157. وعلى هذا يكون ابن حمادوش قد زار المغرب مرتين على الاقل بصريح النصوص.

أما التاريخ الرابع والاخير الذى يلقى ضوءا على أسفار ابن حمادوش وتنقلاته في البلاد الاسلامية فهو ما جاء في رسالته المسماة (تعديل المزاج بسبب قوانين

---

10 ـ (كشف الرموز) طبعة رودويي فدور الجزائر 1928 ط ١ ، ٣٣

11 ـ وبناء عليه فان الامام قد سأل صاحبه : ((هل تعلم ما سبب العود؟ قال: لا ، قال: سببه أن الشيطان لما اخرج من الجنة بقي في أذنه تلك الاصوات الحسنة فلم يجد في الدنيا ما يشبهها حتى مرذات يوم بساق انسان قد بلى لحمه وبقي العظم والعرق يابس كالوتر فحركت الريح بعض ما كان بازائه من النبات فجسه فسمع صوتا يشبه ذلك فكان سبب استخراج العود الى الدنيا)) من رحلته.

العلاج) من أنه كان بمدينة رشيد بمصر سنة 1161 ومما يؤكد هذا أن آخر تاريخ في الجزء الثاني من الرحلة يعود الى هذه السنة. وهكذا يتضح أن ابن حمادوش قد ذهب مرتين على الاقل الى المشرق (سنة 1130 وسنة 1161) ومرتين على الاقل الى المغرب (سنة 1145 وسنة 1156) ونعتقد أنه سافر أكثر من ذلك لأنه عاش فترة طويلة أخرى. ولكننا لا نملك الدليل على ذلك.

6 ـ شـــيوخـــه:

وأثناء وجوده بالجزائر وتنقلاته في المشرق والمغرب تلقى ابن حمادوش دراسته وتثقف بثقافة عصره ولكنه طبعها، كما سنرى، بطابع علمي خلافا لمعاصريه ورغم أنه كثيرا ما افتخر بأنه أخذ العلم قراءة وليس اجازة (12) فاننا لا نجد فيما ذكره عن حياته الدراسية الا اسماء الشيوخ الذين اجـازوه بعـد القـراءة عليهم.ولم يذكر من شيوخه الذين أخذ عنهم قراءة (دون اجازة) الا عالما تونسيا وهو الشيخ محمد زيتونة وعالما جزائريا هو محمد بن ميمون. وقد ذكر الاول عدة مرات في رحلته منها مرة بمناسبة الحديث عن رفع الايدى أثناء الصلاة عندما كان في مجلس الشيخ محمد البناني الفاسي، فقال ابن حمادوش عـن الـبنانـي ((فأراني أحد الاوجه الذى كان يرينا الشيخ زيتونة رحمة الله)) ومنها عندما قارن بين خطيب جامع القصبة ثم جامع الباشا بتطوان قائلا عنه ((ما رأيت، فيما رأيت، غير الشيخ زيتونة مثله)) وكان يسمى الشيخ زيتونة ((شيخنا))(13).

أما ابن ميمون الجزائرى فقد كانت له معه مجالس علمية في داره، وكان ابن حمادوش يسميه أيضا ((شيخنا)) وقد درس معه كتبا كثيرة في الادب والتاريخ والفقه واللغة والتصوف ونحو ذلك. ويتردد اسم ابن ميمون في الرحلة كثيرا. ومن جهة أخرى ذكر بعض اسماء من تعلم عليهم الاعشاب ورمي القنابل ونحو ذلك.

---

12 ـ وقد استثنى من ذلك ثلاثة علوم وهي الموسيقى والكيميا والسيميا التي قال انه أخذها اجازة.

13 ـ عن الشيخ محمد زيتونة أنظر محمد التيفر (عنوان الأريب) 2 ـ 9

ومن هؤلاء السيد محمد كنجل الذى قال عنه انه ((كان عشاب بلدنا)) وفي مناسبة قال:((خرجت مع بعض الاخوان، أحدهم يعرف الاعشاب لنتعلم منه ... في جبل بومعزة تحت بوزريعة)) ولكنه لم يسم هذا المعلم . أما القنبلة، التي يسميها البونية، فقد اخذها عن معلمين في الجزائر وهما العلج حسن،ومحمد بن البونباجي، الاول عند باب الجزيرة والثاني عند باب الواد. ولاشك أن ابن حمادوش قرأ أيضا على شيوخ آخرين في الجزائر وفي المشرق ولكنه لم يذكرهم في رحلته المتوفرة.

ومهما كان الامر فقد ذكر عددا من علماء المغرب الذين أخذ عنهم العلم بطريق القراءة ثم أجازوه. ومن هؤلاء الشيخ أحمد الورززى الذى قرأ عليه ابن حمادوش بتطوان أجزاء من التفسير والحديث ومختصر خليل.وبعد ذلك أجازه هذا الشيخ بكل مروياته واعتبره شريفا كريم الاصل وطلب منه الدعاء له ونصحه بأن يكون صادقا وأن لا يخشى في الله لومة لائم. ومع ذلك ناقشه ابن حمادوش في مسائل منها قضية تفضيل الملائكة على الانبياء أو العكس بناء على رأى أهل السنة والمعتزلة. وكان الورززى منهما بالاعتزال.

وقد زار الشيخ الورززى مدينة الجزائر في رمضان سنة 1159 وأقام بمدرسة الجامع الكبير والتف حوله علماء (طلبة) المدينة وناقشوه وطلبوا منه درسا في التفسير فألقاه عليهم بالجامع المذكور. وأثناء هذه الزيارة رافقه ابن حمادوش أيضا وتتلمذ عليه من جديد وصحح عليه كتابه (الدرر على المختصر) في المنطق الذى سنتحدث عنه. وقد كتب له الورززى بعد ذلك بصحة تأليفه وجواز ترويجه وتدريسه للطلبة.

وممن أجازوا ابن حمادوش من علماء المغرب أيضا الشيخ محمد بن عبدالسلام البناني الفاسي. وكان ذلك أثناء زيارته الثانية للمغرب. والظاهر أن ابن حمادوش

كان يعرفه منذ رحلته الاولى للمغرب سنة 1145(والثانية كانت سنة 1156) لأنه قد حمل له معه من الجزائر أمانة وسارع بتسليمها اليه فور وصوله الى تطوان ولم يفصح عن مرسل هذه الامانة الى البناني، ولعلها كانت هدية من ابن حمادوش نفسه اليه. وعلى كل حال فقد حضر دروس البناني ولازمه بعض الوقت وناقشه أيضا في بعض المسائل، ثم قدم اليه قصيدة ضعيفةالنسج يستجيزه فيها فأجازه الشيخ بكل مؤلفاته ومروياته أيضا ووصفه بأنه ((المدرس الاحفل، الشريف الأمثل السيد عبدالرزاق الجزائرى المالكي... حضر لدى في غير ما درس حضور استفادة وتحصيل ... فألفيته ...وقد لمع برق نجابته، وقارب الكمال العرفي بدر درايته، واشتد في غالب الفنون المتداولة في الوقت ساعده،وتأهل لأن يؤخذ عنه مما يحاوله من العلوم فوائد، ولعمرى لهو أهل لذلك))(14)وفي تطوان أيضا درس ابن حمادوش (ألفية العراقي) على الشيخ أحمد السرايرى الذى أجازه أيضا بكل مروياته (15).

وفي مكناس اجتمع ابن حمادوش ببعض العلماء وناقشهم وأخذ عنهم. ومن هؤلاء الشيخ عبدالسلام القباب الذى بلغه أنه كان من خيار علماء مكناس. وكان القباب هو موقت جامع النجارين. ولكن ابن حمادوش وجده، كما قال، لا يحسن سوى علم التوقيت. وقد أحاله الشيخ القباب على مؤقت الجامع الكبير الشيخ عبدالقادر الفاسي، الذى كان أعلم منه (القباب) بعلم التوقيت. ويروى ابن حمادوش في شيء من الزهو، أنه ذهب الى الشيخ الفاسي وجالسه فوجده حقا أكثر خبرة بهذا العلم من القباب ولكنه (أى الفاسي) كان مشغوفا بالاحكام مع أنه لا خبرة له بها. ثم أخبر أنه استعار منه تأليفا له في الاحكام وقرأه ونسخه في بيته بالفندق.

---

14 ـ سلم البناني فهرسه الكبير الى ابن حمادوش قبل الاجازة. وقد نقل منه ابن حمادوش في رحلته حوالي كراستين وتراك الباقي لطوله.

15 ـ توفي الشيخ السرايرى سنة 1157. وقد نزل ابن حمادوش بفندق السرايرى بتطوان.

أما فاس فقد لقي من علمائها الشيخ المنجم محمد القسنطيني، ولكنه وجد ((عنده دعوى أكبر من علمه ... وأحضرت له النصبات فلم يدر ما يحكم وانما يحكم للعامة)) والظاهر أنه لم يستفد من هذا المنجم لأنه كان يتكسب بالتنجيم، كما يفعل أصحاب خط الرمل. وقال عنه ان علمه كان من الكتب وحدها ولم يأخذه على شيخ قراءة درس ومشاركة. لذلك فارقه دون أن يطلب منه اجازة كما فعل مع سابقيه (القباب والفاسي).

وقرأ ابن حمادوش في فاس أيضا على الشيخ أحمد بن المبارك بعض الكتب، منها المختصر في المنطق للسنوسي والخبيصي في المنطق أيضا. وقد استجاز الشيخ أيضا بقصيدة على عادته، غير أن ابن المبارك توفي قبل كتابه الاجازة فشهد له على تلمذه عليه القاضي عبدالقادر بوخريص. وحضر ابن حمادوش جنازة ابن المبارك ورثاه بقصيدة طويلة. ومن العلماء الاطباء المغاربة الذين لقيهم ابن حمادوش الحكيم عبدالوهاب ادراق، طبيب السلطان اسماعيل وذريته وقد دخل قصره وحضر مجلسه ومدحه بقصيدة جاء فيها أنه انما قدم عليه يطلب العلم تاركا وراءه صبية وأما وأهلا. وأصيب ابن حمادوش بحمى نافض في مجلس الطبيب ادراق فخرج منه الى بيته. وبعد المعالجة والبرء عاد الى المجلس وكتب قصيدة ثانية في هذا المعنى ودفعها اليه. وفي معرض تجاربه العلمية ذكر ابن حمادوش انه أخذ طريقة استحضار شراب المصطكي عن هذا الطبيب. أما عن الشراب نفسه فقد قال انه يقوم في منافعه مقام الخمر.

ان هؤلاء وغيرهم هم شيوخ ابن حمادوش من المغرب. وقد أخذ عنهم العلم مشافهة ودرسا وليس بالاجازة وحدها أو بالكتب فقط ويلاحظ أنه كان يناقش هؤلاء العلماء وينقدهم ولم يكن يتلقى منهم فقط .كما يلاحظ المرء الاوصاف العلمية التي كان يخلعها عليه مجيزوه. ولعل هذا يبرهن لنا على أنه لم يكن قد ذهب الى المغرب تاجرا فقط . ذلك أن شراء الكتب واستنساخها وكثرة قراءاته، كما

سنرى، تدل على أن مهمته كانت علمية بالدرجة الاولى. وبالاضافة الى ذلك نجده ينتصب للتدريس في تطوان أثناء دخوله وخروجه من المغرب. ولو كان في امكاننا معرفة شيوخه المغاربة الآخرين ومن غير المغاربة لاتضحت لنا جوانب أخرى من التأثيرات والتيارات التي كانت تتفاعل في حياة ابن حمادوش. ولعل قراءاته الخاصة في الكتب تساعد على ذلك.

7 ـ مطالعاتـه الشخصية:

ويمكن تقسيم مطالعاته الى أربعة أصناف،وهي العلوم الشرعية والتـاريخ والادب والعلوم المحضة والمنطق. ويدخل في الصنف الاول التفسير والحديث والاسانيد وكتب الفقه. وقد جاء ذكر مجموعة من هذا الصنف في رحلته، من ذلك كتب الحديث الستة، وخصوصا صحيح البخارى الذى ختمه عدة مرات بالجامع الكبير بالعاصمة أو في دار شيخه ابن ميمون. كما جاء ذكر مختصر الشيخ خليل عدة مرات ورسالة ابن أبي زيد القيرواني والاتقان للسيوطي وتحفة الحكام لابن عاصم ووثائق الغرناطي.

وقرأ من الصنف الثاني مجموعة من الكتب منها كتاب الاكتفاء بتـاريخ الخلفاء لابن الكردبوس الذى سرد منه الجزء الثاني مع شيخه ابن ميمون مبتدئا بتاريخ الخلافة العباسية.وقد وصل فيه الى تاريخ الراشد بالله عام 535، قائلا :((وهنا تم الجزء الذى في أيدينا)). ونجد من ذلك في رحلته جزءا كبيرا.وأضاف الى ذلك مختصرا ما قرأه من كتاب الانس الجليل في تاريخ القدس والخليل، مبتدئا بالهجرة النبوية. وذكرانه قرأ أيضا لطائف أخبار الاول للاسحاقي. وكتب السيرة مثل النووى والكلاعي.

أما في الادب فقد ذكرانه قرأ مجموعة منها كتاب أنس العشيق الذى لم يذكر مؤلفه وكتاب لابن الخطيب ذكر له عنوانا غير واضح (حضرة الارتياح؟)، وكتاب

كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ في أوصاف بني آدم وشيات الحيوان لابراهيم الاجدابي، وكتاب الدر الفائق في المواعظ والرقائق. وقد نقل منه بعض الحكايات في الرحلة. وكذلك قرأ ابن حمادوش مقامات الحريرى الذى اشتراه ونسخه في المغرب ودرسه، ومسائل ابن حجة الذى تذاكر فيه مع شيخه ابن ميمون، وقصيدة مالك بن المرحل نظم فصيح ثعلب وغيرها.

ويذكر ابن حمادوش مجموعة من المؤلفات في العلوم تدل على اهتمامه الخاص بهذا الفرع من فروع المعرفة. فقد درس القلصادى وشرح السنوسي على الحباك والقانون والنجاح لابن سينا وشرح ابن رشد على منظومة ابن سينا ومقالات اقليدس وكتاب تاريخ الدول للملطي في أخبار العلماء والاطباء. وقد نقل من هذا الكتاب في الرحلة وأعجب بصاحبه، ثم كتاب روضة الازهار للجادرى وشروحها، وكتاب السطى على ذوات الاسماء والمنفصلات وطالع تأليفا في علم البونية لعبدالرحمن الفاسي وكتاب الطلاسم لابن البناء.

ومن جهة أخرى طالع عدة كتب في المنطق والتصوف ونحوها. ومنها الجدل للسمرقندي ومختصر السنوسي في المنطق الذي سنعالجه وحده، وكتاب الخبيصى في المنطق أيضا. أما في التصوف فقد ذكر الرسالة القشيرية وجفر البسطامي وغيرهما. وسنعرف من تآليفه هو أن بعضها كان نتيجة مطالعات لمؤلفين مسلمين أو نصارى. وأن انقطاع ابن حمادوش للكتب حتى في أصعب الظروف الاجتماعية مثل غضب زوجه منه وقلة ذات يده يدل على شخصية نادرة في هذا الميدان. وقد انعكس ذلك على تآليفه وتنوعها ولاسيما في العلوم.

وكان كثير الولع بشراء الكتب ونسخها رغم فقره. وقد ذكر في الرحلة أنه اشترى، وهو في المغرب، مجموعة من الكتب نذكر بعضها هنا على سبيل المثال لا الحصر، ومن ذلك الشفاء للقاضي عياض وشمائل الترمذى وشرحها لابن مخلص

ومفيد الحكام لابن هشام ومختصر القزويني ومضحكات ابن عاصم وشرح ميارة على لامية الزقاق، والمنوى على ألفية العراقي وحاشية عبدالرحمان الفاسي على البخارى والجزء الثالث من الاكتفاء سيرة الكلاعي. ولاشك أنه قرأ هذه الكتب بعد شرائها واستفاد منها. ولعله كان قد قرأها قبل ذلك وانما أراد أن يقتنيها لينتفع بها وقت الحاجة.

أما نسخ الكتب فقد كان لا يمله. ويبدو أنه كان يملك فيه موهبة خارقة. فقد كان يستعير الوثيقة أو الكتاب من صاحبه وينسخه ثم يعيده اليه في وقت قصير. وقد حدث ذلك مع أسانيد البناني ومع موقت جامع مكناس. وذكر أنه نسخ ابن فارس على أحوال المصطفى ومنظومة السيوطي في اجداد الرسول صلى الله عليم وسلم وشرح ايساغوجي ومختصر السنوسي وحاشية حسن اليوسي (والثلاثة الأخيرة في المنطق) وشرح شيخ الاسلام على المنفرجة وغيرها من الكتب. وبمجرد وصوله الى الجزائر قادما من المغرب شرع في تسفير الكتب ونسخها ومطالعتها والتأليف فيها. ولعله كان يبيعها أيضا. ولو تمكنا من الاطلاع على معظم أو كل آثاره لعرفنا منها جوانب أخرى من قراءته واشتغاله بالنسخ وصناعة الكتاب عامة.

8 ـ تلاميـــذه:

لا نعرف أن ابن حمادوش قد تصدر للتدريس بالمعنى التقليدى للكلمة. ذلك اننا لا نجد في الوثائق التي عدنا اليها أنه كان مدرسا موظفا بأحد الجوامع. غير اننا وجدنا في الرحلة ما يدل على أنه انتصب للتدريس بطريقة حرة. فقد أخبر أنه عندما كان بتطوان حصل على اذن من الشيخين البناني والورززى للتدريس، وأخبر أنه درس هناك كتاب المقنع لابي مقرع لطلبة لم يذكرهم. وأثناء عودته الى نفس المدينة من فاس تتلمذ عليه عبدالله جنان الاديب الساخر. وقد ختم ابن حمادوش مع جنان (روضة الازهار)للجادرى في الفلك والقلصادي في الرياضيات.

وفي الجزائر كان ابن حمادوش يحضر قراءة البخاري بالجامع الكبير بالعاصمة. وقد اعطانا صورة عن طريقتهم في ذلك. فكان العلماء يجتمعون في حلقة ابتداء من شهر رجب ويقرأون من البخاري كل جلسة نصيبا الى أن يختموه ليلة القدر. وهكذا كل سنة. ويبدو أن ابن حمادوش كانت له مكانة خاصة في هذا المجلس لأنه يذكر عددا من العلماء الذين كانوا يتداولون قراءة أحاديث البخاري بصوت جهوري وهو يسمع، وذكر منهم المجيد وغير المجيد في ذلك، ولكنه لم يذكر نفسه من القراء أو المسمعين.وفي أولئك العلماء من كان على درجة عالية في العلم والمكانة، اذ فيهم المفتي والقاضي ونحوهما.

ومن جهة أخرى ورد أحد قضاة قسنطينة وهو محمد الحنفي على مدينة الجزائر لأمور تخصه. ولكنه جلس للدرس على ابن حمادوش قبل عودته. ومن الكتب التي درسها عليه كتاب الحباك في الاسطرلاب. وفي نهاية الامر خرج ابن حمادوش لتوديعه. ولمحمد الحنفي المذكور آثار علمية مخطوطة. كما أن ابن حمادوش كان يتدارس بعض الكتب مع محمد بن ميمون فهو يدرس له الكتب العلمية من الفلصادى ونحوه، بينما ابن ميمون يدرس له الكتب الأدبية والتاريخية مثل مسائل ابن حجة في الأدب، وتارة كانا يتدارسان العمل معا مثلما فعلا مع كتاب (الاكتفاء)لابن الكردبوس وجغرابي زيد البسطامي. وفي الرحلة يذكر ابن حمادوش عددا ممن يسميهم طلبة البادية الذين تناقش معهم في المسائل الفرضية وغيرها والذين يعترفون له بالمعرفة في النهاية. وهو لا يذكرهم بالاسم ولكنه يذكر المسائل التي دار حولها النقاش بينه وبينهم. ولا تشك في أن له تلاميذ آخرين، وخصوصا في العلوم، ولكن النصوص الآن تعوزنا.

9 ـ خصومه وأصدقاؤه :

يكاد أن يكون لكل عالم، بل لكل انسان في الحياة، بعض الخصوم والحساد وبعض الاصدقاء. ولم يكن ابن حمادوش استثناء في هذه الظاهرة. فنحن نعلم

من سيرته أن خصومه لم يكونوا كثيرين لأنه لم يتول وظائف ادارية تجعله مطمح الحسد والغيرة أثناء توليه ومطمح الشماته والتشفي بعد عزله. فقد كان، فيما يبدو، انسانا بسيطا في حياته، بعيدا عن مراكز النفوذ والسلطة. ولذلك لم يذكر من العلماء الذين وقع بينه وبينهم مغاضبة الا المفتى ابن علي. فقد كان ابن حمادوش ذات مرة في دار شيخه ابن ميمون فدخل عليهم ابن علي فلم يقم له ابن حمادوش تعظيما فغضب المفتى من ذلك وخرج. وقد هجاه ابن حمادوش وافتخر عليه بشرفه ونسبه العربي الهاشمي لأن ابن علي كان من أصل تركي، وقال انه وان حاز الدنيا والجاه (يعنى منصب الفتوى) فانه لا يرقى الى مكانته هو في الشرف والنسب. واتهم ابن علي بأنه معجب بنفسه وأنه يستحق كل مقت وبغضاء. ولعل ابن علي كان يكيد لابن حمادوش كما كان يكيد لمحمد بن نيكرو المفتى المالكي المعاصر له .

وفي مناسبة أخرى ذكر ابن حمادوش أن بعض علماء بلاده حسدوه على تأليفه في المنطق (الدرر على المختصر) وعلى تزكية الشيخ الورززى المغربي له أثناء زيارة هذا للجزائر. وهو لم يذكر اسماء من حسدوه ولكنه ذكرهم باسم الجمع، وذلك عندما امتنعوا من الشهادة له على قراءته الكتاب المذكور على الشيخ الورززى ((وأكثر الطلبة (أى العلماء) حاضرون شاهدون، زاعمين، من حسدهم، ما يسرهم. فلما ظهر ما يسؤوهم امتنعوا من الشهادة على خطه)) الا أحمد بن عمار وأمثاله، فقد شهدوا له، كما سنذكر.

وكان ابن حمادوش أيضا على علاقة غير ودية مع علماء الريف أو طلبة البادية، كما يسميهم، فقد كان يحط من شأنهم ويعتبرهم في العلم أقل درجة من زملائهم علماء الحاضرة. وقد ناقش بعضهم وسخر منهم وأظهر علمه عليهم. وذكر مرة أنه تذاكر مع بعضهم في شأن العلم وزل به لسانه أثناء ذلك فقال ان علماء البادية ((يغلطون في أنفسهم)). وان علمهم أقل من دعوتهم وانهم يدعون

الوصول الى قمة العلم فاذا جاؤوا الحاضرة لا يحسنون القراءة مع علمائها مبتدئين. ويبرر ذلك باشتراك علماء الحضر في العلوم وتوفر الكتب لديهم وتعدد المشائخ والاخوان. ولكن العالم البدوى الذى يتحدث عنه أوقفه وتحامل عليه.والواقع أن بعض ما جرى لابن حمادوش من هذا النوع ليس من باب الخصومة والمحاسدة وانما هو من باب الاختلافات العلمية نتيجة التفاوت في درجات الذكاء والاطلاع.

ولم يذكر ابن حمادوش من أصدقائه عددا كبيرا، بل انه ذكر في احدى مقاماته أن الذى دفعه الى الاسفار والمغامرة هو هجران الاصدقاء وتقلب أحوال الزمان به . غير أننا نجده يشير الى المفتى محمد بن حسين الذى عزاه في ولده بأنه ((من بعض الاخوان)) وقد وصفه هذا المفتى في تعزيته بأنه ((الذي انتهت به أماني الوداد، ومحبة الاخوة وحسن الصداقة والاعتقاد ... الحاج عبدالرزاق الخ)).

وكان أحمد بن عمار من أصدقائه المقربين حتى قال ابن حمادوش عنه بعد امتناع بعض علماء الجزائر على الشهادة له حسدا منهم ((حتى انتدب منهم من خصه الله بالتوفيق، وغسل قلبه من الحقد بالتحقيق ... الأديب ذو القلب الناطق والقول الصادق ...))أحمد بن عمار. كما جاء في شهادة ابن عمار له ما يدل على هذه الصداقة بينهما اذ وصف فيها ابن حمادوش بأنه ((محبنا الأديب، والحبر الأريب، سيدى عبدالرزاق بن حمادوش)). وبالاضافة الى شهادة ابن عمار له شهد له أيضا عبدالرحمان بن الشارف المازوني وأبوالقاسم بن يوسف الحسني وعبدالملك البرنوصي السلياني. ولاشك أن هؤلاء كانوا من أصدقائه وليسوا من حساده. ونعتقد أن تراث ابن حمادوش يحتوى على اسماء أصدقاء وخصوم آخرين له .

10 ـ وظائفـــه :

ولعل الذى ساعد ابن حمادوش على الانقطاع للكتب قراءة ونسخا وتأليفا وتدريسا كونه لم يتول وظيفة رسمية كالقضاء والافتاء. ذلك أن معظم مشاهير العلماء في عصره قد اشتهروا بحكم صلتهم بالولاة ورجال الدولة وتولى المناصب السامية على أيديهم. فشيخه ابن ميمون كان قاضي المواريث وصاحبه الأديب أحمد بن عمار تولى افتاء المالكية بعض الوقت وخصمه الشاعر ابن علي تقلد وظيفته افتاء الحنفية، وهكذا دواليك. أما هو فنجده متحفظا من الحكام حتى قال انه لم يجعل علمه سلما للدنيا. ومع ذلك ذكر في احدى المناسبات بأنه قد أذن له عام 1157 في استئناف وظيفته بالجامع الكبير، وهي وظيفة حضور صحيح البخارى. وعبارة الاستئناف تدل على أنه كان متوليا لهذه الوظيفة قبل التاريخ المذكور. وطريقة حضور البخارى هي أن يجلس العالم لقراءة البخارى بينما يشاركه في ذلك عدد من العلماء أمثال أحمد العمالي ومحمد بن سيدى الهادى والمفتى الحاج الزروق وأخوه عبدالرحمان الزروق.

ولكن عمل ابن حمادوش لم يكن مقتصرا على حضور البخارى والتدريس. ذلك أن اهتمامه بالتجارة كان لا يعادله الا شغفه بالكتب. وقد أوضحنا أنه كان ينتمي الى طبقة الحرفيين. لذلك نجده كثير الاهتمام بأمور التجارة كالاسعار وأحوال البضائع وكراء السفن والضرائب الجمركية أو المكوس وأجور الفنادق ونحو ذلك. وكان قد انتقد رجال الجمارك المغاربة في تطوان على عادتهم في الحصول من المسافر على أنواع معينة من المكس. وقد استعان عليهم عند الخروج من المغرب بالشيخ أحمد الورززى، فكتب هذا الى مسؤول المكس طالبا اعفاء ابن حمادوش من المكس لشرفه وعلمه وفقره. وكلما نزل ابن حمادوش في فندق يذكر قيمة كراء الغرفة وأجرة الحمالين والحمارين والمراكب. وبعد وصوله الى الجزائر استعان فيها أيضا بأحد أقار به على خوجة الملح (أو مسؤول الجمارك) ليعفى سلعته من دفع

المكس في الميناء. ومن جهة أخرى نعرف من رحلته أنواع البضاعة التي حملها من الجزائر الى المغرب والعكس وقيمتها.

وكانت الاحوال الاقتصادية تنعكس على مزاجه وعلاقته العائلية والاجتماعية عامة. فاذا كسدت تجارته وضاع ماله خرجت عنه زوجه وعيرته أمه وختن ابنه دون علم أهله حتى يتفادى اقامة وليمة. واذا باع سلعته وتوفر لديه المال سعد حالا وطاب نفسا وأقدم على التأليف وشراء الكتب وعادت اليه زوجه وفرحت به أمه. وكان له دكان قريبا من الجامع الكبير يبيع فيه بضاعته ويقرأ وينسخ كتبه ويجلس فيه للزوار من الطلبة والسائلين في الشؤون العلمية. وكان يفعل ذلك تارة باقبال واستبشار وأخرى ((مع خمولي وملازمة مكاني)).

11 ـ تجاربـــه العلميـــة :

وصف ابن حمادوش نفسه سنة 1145 ، بعد الابحاث التي أجراها، فقـــال ((فاليوم،والحمد لله،أنا عشاب وصيدلاني وطبيب في بعض الامراض)) ولم يكن عمره عندئذ سوى ثماني وثلاثين سنة. فكيف وصل الى ذلك؟ ان أهم ما يلفت النظر في دراسته هو اهتمامه العلمي وشدة ملاحظاته على ما حوله من الطبيعة والناس. فبينما كان معظم اهتمام علماء عصره منصبا على آثار الاولين كان ابن حمادوش يكثر من المطالعة في الكتب الطبية والهندسية ودراسة الفلك والاعشاب والحساب والظواهر الطبيعية، كما كان يكثر من اجراء التجارب ويمارس العلم عمليا ويسجل ملاحظاته و اكتشافاته في تآليف وضعها. وكان يفعل ذلك ولا يبالي ان كان على سفر أو مقيما، يأخذ من كتب المسلمين أو غير المسلمين.

ففي سفره من تطوان الى فاس والعودة سجل ملاحظاته على أنواع المياه التي مر بها، والطيور التي شاهدها والاشجار التي تأملها. وكان يذكر خصائص

كل نوع ويقارن ذلك بما في بلاده من نفس النوع وما يشذ عنه. وقد قال عن شجر الدلم مثلا انه في المغرب طويل جدا وأن ((ورقه أكبر من ورق الدردار وصفته بين ورق البلوط وورق الدردار وله ثمرتان احداهما عفص كبير أكبر من العفص التركي والاخرى بلوط حلو يؤكل)) وأثناء عودته من فاس الى تطوان على ظهر الحمير لاحظ أن الحمارين قد تمكنوا من هرة فذبحوها وأكلوها وقال عنها أنها ((كانت كلها شحما من شدة السمن، وأمعاؤها كامعائي (كذا) بني آدم واحد، وليست هي وحشية وانما هي انسية في الغالب)).وفي مدينة تطوان لاحظ ((النجم ذا الشعاع مائلا الى الجنوب وشعاعه خيوط كنيران المحرقة يزيد طوله على ذراعين ممتدا لعين المشرق)) وكان قد أصيب وهو بفاس بحمى نافض فاشترى (الكين كينة) واستعملها في فنجان قهوة وشربها على ثلاث مرات. ولاحظ على ذلك أنه لما شرب الثلث الاول بطل النفض الاعرق في اليد اليمنى، وعندما شرب الثلث الثاني توقف النفض حتى في العرق المذكور،أما حين شرب الباقي فقد أحس بذهاب الحمى عنه تماما، غير أن جسمه ظل ثقيلا فنام ثم قام بعد ذلك سليما معافى. ان غيره قد لا يهتم بمثل هذه الملاحظات لأنه يأخذها مأخذ العادة أو ينسبها للقضاء والقدر ونحو ذلك، أما ابن حمادوش فقد كان مهتما لا بالظواهر فقد ولكن بالتعليل أيضا.

وسواء أكان في الجزائر أو خارجها، فان ابن حمادوش كان لا ينفك عن قراءة كتب الطب والتقاط ودراسة الاعشاب والتوصل الى منافعها والتأليف فيها أيضا، وتركيب المعاجين المناسبة منها للتداوى بها. ومن ثمة كان صادقا حين وصف نفسه بالعشاب والصيدلاني والطبيب. فقد عرفنا كيف أخذ صنعه مادة (باذزهر) بينما كان في مصر أثناء حجه الاول. وكان هو في المغرب مهتما أيضا بدراسة النباتات والاشجار. وقد ذكر في الرحلة أنه كان يخرج، بعد عودته الى الجزائر، مع بعض العشابين ويقطعون بعض النباتات من جبل بومعزة. وفي مناسبة أخرى ذكر أنه خرج مع السيد محمد كنجل، وكان عشابا، ليتعلم منه صناعة الاعشاب وبعد

أن تعلم منه ذلك، حمد الله وقال ((ان الاعشاب المقيدة في تأليفي كلها معروفة عندي)). ومن الاسف أنه لم يذكر عنوانا لهذا التأليف. والظاهر أنه يعني به الكتاب الرابع من تأليفه الذى سماه (الجوهر المكنون من بحر القانون) ويشهد (كشف الرموز) المطبوع على اهتمام ابن حمادوش وتمكنه من معرفة الاعشاب وخصائصها ومنافعها.

وكان ابن حمادوش كثير القراءة في كتب الطب القديمة عربية وأجنبية. فبالاضافة الى ابن سينا والانطاكي وابن البيطار عثر على كتاب (تاريخ الدول) للملطى فأعجب به كثيرا حتى قال عنه انه ((لم ير مثله في التراكيب العربية واساليبها فيما عرب من كتب النصارى)) ويفهم من هذا أن الملطى قد قام بتعريب الكتاب. والمهم أن الكتاب المذكور مخصص لطبقات العلماء، وخصوصا الاطباء منهم، وقد نقل ابن حمادوش منه في رحلته تراجم مختصرة لعدد منهم كالرازى والفارابي والبيروني ومحمد البتاني وابن سهل وأبي معشر البلخى ومحمد البوزجاني، بالاضافة الى عدد من علماء اليونان القدماء.

وقد ألف ابن حمادوش كتابا كبيرا في الطب سماه (الجوهر المكنون من بحر القانون) سنعرض اليه في الحديث عن آثاره. وذكر أكثر من مرة انه كان يركب المعاجين الطبية بنفسه وزعم ذات مرة أن أحدا لم يسبقه الى (معجون الصلاح) فقد قال انه ركبه ((على منوال معجون الفلاسفة، لكن لم اسبق به، وسميته معجون الصلاح ومعجون الواحد لأن عدد وزنه يجمعها واحد.)) وقد ذكرنا أنه أخذ شراب المصطكي عن الحكيم المغربي عبدالوهاب أدراق وأنه تمكن من طبخه وجعل منه شرابا يعتبر في نظره من أفخر الاشربة، وفصل القول في كيفية تحضيره وعلق عليه بأنه يقوم في منافعه مقام الخمر.

ومن تجاربه العلمية ما لاحظه على أوزان المياه المختلفة. فقد رسم مجوفا من زجاج وضع فيه حبات دقيقة من الرصاص ووزن فيه أنواع المياه المعتدلة

والخفيفة والثقيلة. ولاحظ أن ماء الحامة والتلاملي في مدينة الجزائر من أعدل الامياه لأنه أثقل من ماء البحر، وهذا نص عبارته ((رأيت ميزان الماء من زجاج على هذه الصفة (ورسم ذلك) وماء البحو هو أخف الامياه يصل منتهى المجوف، وتلك النقط التي أسفله مثلها فيه من حب الرصاص الرقيق. فاذا كان الماء أثقل منه غرق المجوف بقدر ثقله اما بدرجة أو بدرجتين أو أكثر. فماء الحامة عندنا وماء تالاملي، اسماء مائين، أعدل الامياه عندنا، بلغ الى السادسة (أي من درجات المجوف المرسوم)، فهو أثقل من ماء البحر بستة أدراج ، وماء المطر وبعض الآبار أثقل منه بدرجة وأثقل من ماء البحر بسبعة أدراج. وما كان أثقل منه يغرق أكثر لأن جملة نقطه ثلاثة عشر، خمسة حمر والسادسة خضراء، وفوقها ستة حمر والسابعة خضرا)) وعلق هو على ذلك بأنه من غريب ما رأى وقال انه لم يطلع على تأليف فيه.

وتعلم ابن حمادوش أيضا ما اسماه علم البونبة أو طريقة رمي القنابل. وكان قد تعلم ذلك نظريا من كتاب لعبدالرحمان الفاسي ولكنه أراد أن يتعلمه عمليا أيضا. فخرج، كما قال، الى باب الجزيرة بمدينة الجزائر حيث رمى العلج حسن، وهو اختصاصي في هذا الميدان، بونبة قوية فانفجر المهراز ولم تصب الهدف.ولاحظ ابن حمادوش بأن ارتفاع البونبة بلغ ثلاثة وأربعين (؟) فقد عمر العلج حسن ((المهراز بأربعة أرطال بارود فانشق المهراز ولم يعد ولم يصب الغرض))كما خرج مرة ثانية الى باب الوادى مع محمد بن البونباجي وكرر تعلم الرمي وما يلزم للبونبة من تعمير وعجن بارود وغير ذلك. وكان المهراز هذه المرة صغيرا. وقد قال في نهاية هذه التجربة ((فتممت ما بقي لي، والحمد لله، وأخذت علم البونبة بارتفاعها وتعميرها ورميها وعجن بارودها، فأنا من علمائها، والحمد لله)) وقد أضاف ما تعلمه عنها الى تأليف الفاسي المذكور.

وهناك علوم أخرى كانت تشغل بال ابن حمادوش بينما لم تكن، بدون شك، تشغل بال معاصريه من العلماء والسياسيين. ومن ذلك ما يسميه هو بعلم البلوط

والذى عرفه بأنه معرفة الطرق البحرية. وقد أكد بعد ذلك أنه وصل فيه الى درجة طيبة حين قال ان ((يدى قد صحت في هذا العلم)) ومن جهة أخرى أدى اهتمامه بالهندسة الى اهتمامه باتجاهات رياح البحر فصنع كارطة (أو خريطة) لذلك ووصفها بأنها ((صنعة هندسية سهلة المأخذ: تدور دائرة بقناص بلا حبر، ثم تخط من كل ناحية من نواحيها الاربع خطا أسود، تصير الدائرة خطوطا مربعة. ثم تقسم الدائرة الى اثنين وثلاثين قسما متساوية. وتخط خطوطها بعد أن تجعل مركزها دائرة ومركز كل قسم كذلك، وتخط من كل الى الأخرى خطا، فتكون ...))وحين قرأ كتابا لرضوان أفندى عن صورة الكرة الارضية نسخه ثم بدا له أن يحرك كواكبه، حسب قوله، فألف فيه ((تأليفا لم أسبق به)) وفي هذا المعنى وجدناه يقول عن الكواكب في مناسبة أخرى ((نقلتها لتمام سبعة بموحدة بعد الثمانية وستين ومائة وألف وعلى طول الجزائر، فيكون التعديل من نصف يوم الخميس الخ ...))(16).

وكان ابن حمادوش كثير القراءة في كتب الاروبيين الذين يسميهم النصارى ، ولكننا لا ندرى بأية لغة كان يقرأها، والغالب انها كانت بالعربية. ومن ذلك استخراجه عمل الرخامة الظلية بالحساب من كتب النصارى كما قال. وقد ألف في ذلك أيضا. وفي مناسبة أخرى اشترى ((القوس الذى يأخذ به النصارى الشمس)) وتعلمه أيضا. وقد عرفه بقوله ((هو آلة ذات قوسين يبصر ماسكها من خرمي هدفتيها الافق الشمالي بالعين بشرط أن يساتر بظل الهدفة الثالثة العليا شق الهدفة السفلى على الافق مجتمعتين.فاذا ساتر كانت الدرجة في قوس والدقيقة في الآخر من القوسين)).

16 ـ أنظر مخطوط رقم 2568 مجموع. المكتبة الوطنية بباريس، ورقة 75 وفي هذا المصدر جدول كبير لعملية نقل الكواكب كما فعلها ابن حمادوش بعد سنة 1168.

وقد اهتم ابن حمادوش اهتماما خاصا بعلم الفلك. وتعلم صنعة الاسطرلاب والربع المقنطر. كما تعلم سبعة تواريخ، وهي العربي والمسيحي والاسكندرى (وهي التواريخ التي كان يستعملها في رحلته) ثم التاريخ الفارسي والعبرى والقبطي والملكي (؟) وكان كثيرا ما يحل ويجيب على أسئلة حسابية وفرضية معقدة، مستعملا لذلك الجداول والرسوم والخطوط البيانية. وله تأليف في الروزنامة ذكره من بين مؤلفاته.

ويبدو أن ابن حمادوش كان من جهة متقدما على عصره ومن جهة أخرى متأخرا عليه. فهو متقدم عليه اذا عرفنا أن يقظة مواطنيه لم تبدأ الا بعد وفاته بحوالي قرن، وهو متأخر عليه اذا عرفنا أنه جاء بعد ظلام دامس أصاب الحضارة الاسلامية. ولذلك اعتبره بعض الباحثين (ليكليرك) من أواخر الممثلين للطب العربي، ولعل الصواب أن يقول للفكر العربي. واذا تذكرنا أن ابن حمادوش كان في القرن الثاني عشر (18م) معاصرا لعهد الاستنارة في أوربا ادركنا أنه عندئذ كان أقرب في تفكيره واهتماماته الى العلماء الأروبيين الناهضين منه الى العلماء المسلمين الخاملين. ولا شك أنه كان يشقى بحالته هذه تمشيا مع قول المتنبي:

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

12 ـ شعـره (17):

حدد ابن حمادوش أغراض شعره فيما يلي حين قال ((بنيت ديواني على الغزل والنسيب والمراثي ومدح المصطفى)) والواقع أن القصائد التي ذكرها في

17 ـ هذا الحديث عن شعره ومقاماته نشرناه منفصلا في مجلة (الثقافة)، 49، يناير، فبراير 1979 ثم حذفنا منه نص المقامة الهركلية ووضعناه في قسم النصوص.

رحلته (18) تتناول أغراضا أخرى أيضا غير التي ذكرها. باستثناء الرثاء. فقد جاء فيها أيضا المدح والحنين الى الأهل والوطن والفخر والشكوى من كساد التجارة ومعاكسة الزمان والاستجازة من علماء المغرب ونحو ذلك. ولا يوجد في القصائد المذكورة في الرحلة غزل ولا نسيب ولا مدائح نبوية. ومعنى هذا أن لابن حمادوش أشعارا ضائعة قالها في الاغراض التي ذكرها وجمعها في ديوان ما يزال مفقودا.

وسنذكر فيما يلي عدد القصائد والقطع التي عثرنا عليها في الرحلة والاغراض التي قيلت فيها ومطالعها عند الضرورة وبعض الاوصاف الاخرى لكل قصيدة وقطعة.

1 ـ وأول قصيدة سجلها في الرحلة قالها في مدينة تطوان ووجهها الى الشيخ محمد بن عبدالسلام البناني يستجيزه فيها. والقصيدة لامية تبلغ اثنى عشر بيتا، وهي ضعيفة لغة ومكسورة وزنا ومطلعها:

سبوت فلم يكن بقربك نـــازل فكنت في أوج العز تقطر بالسؤل

2 ـ والقصيدة الثانية في ذم أولاد مختار بالمغرب على بخلهم حين مر بهم ابن حمادوش وهو في طريقه من تطوان الى مكناس. وقد عبر فيها على الخوف الذى ساوره هو ورفاقه لأن لبلتهم كانت محفوفة بالخطر من أولئك القوم. وتبلغ القصيدة تسعة عشر بيتا. وهي ضعيفة ومكسورة أيضا، ومطلعها:

وليـلـة مختـار يبيـت بهـا هـم مدى الدهـــر لا يرجـى يحور عن الغم
وآل قريـم كلهـم مجمـع الـــردى يسيئون للاضيـاف في القول والحكـم

18 ـ عنوان رحلته هو (لسان المقال في النبأ عن الحسب والنسب والحال) ونحن بصدد تحقيقها.

3 ـ قصيدة قدمها وقرأها على الحكيم عبدالوهاب ادراق (19) طبيب السلطان مولاى اسماعيل وأولاده من بعده. وكان ذلك بمدينة فاس. ومطلعها:

ايا سيدى عبدالوهـاب تحيـة وبشـرى لكم اهـدى واندى من الطل

وقد جاءه ابن حمادوش يطلب منه علما بعدما ترك أمه وزوجه وأطفاله، كما عبر عن ذلك بقوله:

اتيتك يا ملجا البريـة كلهـا تنولنى علمـا فنبـرأ مـن الجهـل
وخلفت أمـي والعيـال وصبية كأنها افراخ الحمـام لدى الوصـل

والقصيدة في عشرة أبيات. ويلاحظ عليها الخلل العروضي والضعف الشعري.

4 ـ قصيدة أخرى قدمها الى نفس الشخص، لكن موضوعها هو وصف الحمى النافض التي أصابته عندما كان جالسا في مجلس الحكيم ادراق. فقد أصابته الحمى فخرج من المجلس وذهب الى بيته فتداوى.وبعد برئه عاد الى المجلس، ووصف فيها للحكيم ما أصابه، كما وصف مجلس هذا الحكيم الذى قال انه كمجلس الملوك وان قصره كقصورهم. والقصيدة في احد عشر بيتا وفيها أبيات سخيفة. وهي، كغيرها،ضعيفة مختلة. ومطلعها:

أيا شيخنـا عبدالوهـاب سعـادة لتعلم ما حـاز الفـؤاد من الحـدس

19 ـ توفي سنة 1159 ، وكان أيضا أديبا وله تآليف. أنظر معجم المؤلفين 6 ـ 216.

5 ـ قصيدة استجاز بها الشيخ أحمد بن المبارك (20) بفاس، وهي في ثلاثة عشر بيتا. وفيها مدح وتذلل ووصف متشائم لحالة العلوم في عصره. وهي من الشعر الذي يفتقر الى المتانة والاستقامة في الوزن. ومطلعها:

أبا شيخنا شيخ البريـة كلهـــــــــا اسيدى أحمد المبارك في الدهرى (كـــــذا)
علوت على أعلاذرى المجد رفعـــــــة فكنت في أوج العز كالكوكب الـــــــدرى

6 ـ قصيدة أخرى في رثاء نفس الشيخ الذى توفى قبـل أن يكتب له الاجازة. وتبلغ ثلاثين بيتا، وهي مكسورة أيضا. وقد ذكر ابن حمادوش أنه أول من رثى الشيخ ابن المبارك. ومطلعها:

أفلت يا شمس الغرب في حجب الثـــــرى وابقيت فاسا في الظلام وفي الـغـــــــم
فحيرت رصـادا وعطلـت آلـــــــــة ويتمت أفراخـا تموتها بـالعلـــــــــم

7 ـ قصيدة في تهنئة السلطان عبدالله(21) بن اسماعيل (22) على هزيمة ومقتل الثائر أحمد الريفي (23) وكان قد استعد للدخول عليه بها، ولكن ((لما رأيت غلظ حجابه مسكتها عندى)) ويفهم من هذا أن اذن الدخول قد رفض له. وتبلغ القصيدة ثلاثة عشر بيتا. ومطلعها:

أمولاى عبدالله بشرك الهنـــا بكـل الذى تبغـى من الفتـح والنصـر

20 ـ ولد في سجلماسة وكان عالما موسوعيا وتوفى كما قال ابن حمادوش سنة 1156 في مدينة فاس.
21 ـ تولى وخلع أربع مرات. وكانت ولايته الاولى سنة 1141 وتوفى سنة 1171. الاعلام 4 ـ 199.
22 ـ بقي في الحكم سبعا وخمسين سنة وتوفى سنة 1139.
23 ـ ثار أحمد الريفي على السلطان عبدالله سنة 1156 وقتل في نفس السنة. وقد حضر ابن حمادوش هذه الحادثة. ورغم سخط ابن حمادوش على السلطان فانه لم يكن راضيا على الريفي أيضا لأن هذا في نظره قد ادعى الشرف وهو غير ذلك. وكما يذكر أن ابن أحمد الريفي قد فر من السلطان الى الجزائر.

8 ـ قصيدة أخرى في نفس السلطان (عبدالله) أثناء ولايته الاولى (سنة 1145)، أى قبل القصيدة السابقة. وقد قال ابن حمادوش، بعد أن ذكر معاملة حجاب السلطان له في المرة السابقة، أن الله قد أغناه عن لقياه دون ان يذكر السبب هذه المرة. ومع ذلك أثبت القصيدتين في الرحلة قائلا ((حملني الأدب على قولها ... فخلدتها في ديوان الأدب)) وقال أيضا بهذه المناسبة انه لم يجعل علمه وسيلة الى المجد في الحياة الدنيا، وانه لم يمدح سلطانا ابدا قبل ولا بعد هاتين القصيدتين. ومطلع القصيدة الثانية (وهي الاولى زمنيا) في عبدالله:

قطعت بحارا موهلات ودونها ـــــــــــــــا قفارا (كذا) لا تأويها الوحوش مع الطـــير
وجبت بلاد الترك والعـرب والعجـــــــم على قدمي طورا وطورا على الحمـــــــــر

وهي في خمسة وثلاثين بيتا. ولا تبلغ أى درجة من الجودة.

9 ـ قصيدة ذاتية كتبها حين أدركه عيد الأضحى وهو في تطوان بعيدا عن أهله ووطنه، وليس له مال. وقد تحطمت السفينة التي كانت ستحمله هو وأصحابه الى الجزائر. ووصف فيها هطول الأمطار وغربته وكساد سلعته واجتماع الناس يوم العيد وبقاءه وحيدا باثسا. وقد بلغت القصيدة ثلاثين بيتا. وهي من أحسن شعره. ومع ذلك لم تخل من السخف وكسر الوزن:

لقد كنت قبل اليوم أصبر صابـــــــــر وها أنـا في هذا الأوان ذلـيـــــــــل
أنوح على بعد الديـار صبابـــــــــة نواحي (كذا) التكالي تحسبوني جبيـــــل

10 ـ رجز في واحد وعشرين بيتا قاله يوم تحطمت السفينـة التـي كان سيسافر عليها من تطوان الى الجزائر، وطال به السأم وانقطع رجاؤه في العودة الى أهله. وقد عبر فيها عن لوعة الحنين الى أطفاله وزوجه. ومطلعها:

يا أم عبـد صـبرى وتصـبرى وأيقـني أنـي على الأمـر جـرى

وهي أيضا مكسورة ومهلهلة النسج.

11 ـ قصيدة هجا فيها الشاعر المفتى ابن علي ((24) وافتخر عليه فيها بنفسه وبشرفه وذكر فيها أنه بالرغم من كونه لم ينل حظا في الدنيا (لعله يعنى الوظيفة) (25) فانه يكفيه مجدا أنه من آل على بن أبي طالب وأن أجداده من قبيلة بني هاشم (وهو تعريض منه بابن علي الذى كان كرغليا). ومع ذلك فالقصيدة غير موزونة، ولا تستطيع أن تقف أمام شعر ابن علي الذى يمتاز بالمتانة والرقة. وهي في أربعة عشر بيتا.وقد ذكر ابن حمادوش المناسبة التي قال فيها القصيدة، فقال انه كان في منزل شيخه محمد بن ميمون (26) فدخل عليهما المفتى الحنفي ابن علي فلم ينهض له ابن حمادوش للتسليم عليه فغضب ابن علي من ذلك وخرج. ومطلعها:

خـرجـت ذلـيـلا لا أعـود لمثلهـا وهل يجمع السيفـان ويحـك في غمـد
فاني من اللائى فوق الثـرى تـرى وأنفسنا في العرش تابعة المجـــد

12 ـ نظم لمقالات أقليدس بلغ أثنى عشر بيتا. وهو نظم ضعيف كغيره.

13 ـ بعض القطع التي حلى بها مقاماته، على عادة كتاب المقامات في ذلك، وهي المقامات التي سنتحدث عنها.

هذا كل ما وجدناه من شعر ابن حمادوش مبثوثا في الرحلة. ومن ثمة يتبين أن قوله انه قد بنى ديوانه على الغزل والنسيب ومدح المصطفى والمراثي يحتاج الى

24 ـ ظل حيا الى سنة 1162 ولكننا لا نعرف متى توفى. تولى الفتيا على المذهب الحنفي مدة طويلة. خصصنا له في فصل الشعر مكانا بارزا في كتابنا (تاريخ الجزائر الثقافي) الجزء الثاني.

25 ـ الوظيفة الوحيدة التي تولاها ابن حمادوش، حسب علمنا، هي وظيفة قارىء صحيح البخارى بالجامع الكبير بالعاصمة.

26 ـ تولى عدة وظائف دينية. والظاهر أنه هو مؤلف كتاب (التحفة المرضية) في سيرة محمد بكداش باشا. تحقيق محمد بن عبدالكريم.

التأمل. ومن الطبيعي أن تكون الرحلة ليست ديوان شعر، فهي لتسجيل الاحداث لا الاشعار. وأن الشعر الذى أورده ابن حمادوش فيها قد جاء عرضا وبالمناسبة ولذلك فعلى الدارسين أن يبحثوا على ديوان ابن حمادوش الضائع. فهو وان لم يفدنا شعرا جيدا(لأن النماذج الموجودة لا تبشر به)فانه سيفيدنا في الكشف عن جوانب أخرى من حياة ابن حمادوش وحياة عصره ومعاصريه. فمنه سنعرف فيمن تغزل ومن رثى ومتى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وغير ذلك.

ومن رحلته نعرف ان ابن حمادوش كان معاصرا لشاعرين جزائريين كبيرين، كلاهما كان في مدينة الجزائر وكلاهما تولى الافتاء،وهما أحمد بن عمار (27) وابن علي. كما كان معاصرا وزميلا لشاعر آخر بارز وهو محمد بن ميمون. والواقع أنه اذا كانت الاغراض الشعرية عندئذ تكاد تكون واحدة (المولديات والمراثي والغزل المتصنع ووصف الرياض) عند الجميع، فان قوة العارضة ووفرة الخيال ووضع الصورة كان يختلفمن شاعر الى شاعر. ولقد وجدنا فيا ذكره ابن عمار من أشعار لنفسه ولصديقه ابن علي نماذج رائعة في الاغراض المذكورة. أما شعر ابن حمادوش، ازاء شعر هؤلاء الشعراء، فهو لا شيء في الواقع. وليس ابن حمادوش سوى متطفل على قول الشعر، كما تدل على ذلك قوافيه وبحوره وتعابيره (28) وقد ذكرنا له القصائد السابقة لا للبرهنة على شاعريته ولكن لمعرفة ألوان حياته وانتاجه واهتماماته ودراسته شخصيته من خلال ذلك.

13 ـ مـقامـــاته :

وكما نظم ابن حمادوش الشعر كتب أيضا المقامة. وقد عثرنا له في الرحلة على ثلاث مقامات ولا ندرى ما اذا كان قد كتب مقامات أخرى في غير الرحلة.

---

27 ـ ظل حيا الى سنة 1205. أنظر دراستنا لاجازته للمرادى في مجلة (الثقافة) عدد 45 ـ 1978 وقد أفردنا له حيزا هاما في كتابنا (تاريخ الجزائر الثقافي) الجزء الثاني.

28 ـ لم يكن ابن حمادوش بدعا في ذلك فمعظم العلماء كانوا يقرضون الشعر ولكن يكسرون أوزانه ولا يراعون قواعده. بالاضافة الى ضعف الخيال، فهم نظامون وليسوا شعراء. ومن هؤلاء ابوراس الناصر.

ومقاماته تخضع لمقاييس المقامة العربية المعروفة، من سجع ومخاطبة شخص رمزي أو الحديث عن النفس وتعلية ذلك بأبيات من الشعر وبعض الامثال والنقول الاخرى. وهذه مقاماته الثلاث:

1 ـ مقامة وصف فيها حالته النفسية عندما كان في المغرب في الطريق من تطوان الى مكناس، وقد تحدث فيها عن هدفه من زيارة المغرب، مرافقا لاثنين من التجار (29) والطريق التي مروا بها والاخطار التي تعرضوا اليها من العربان واللصوص وغرائب ما شاهد. وقد افتتحها بقوله:((الحمد لله، طحى بي ضيق الاسباب، وهوى الاكتساب، الى أن خطرت من شدة الاياس، الى بلاد الملك مكناس، أخوض الغمار لأجتني الثمار، وأقتحم الاخطار لكي أدرك الاوطار، وكنت لقفت من أفواه العلماء،ووصايا الحكماء، أن الخطر غرور، وأن المسافر مبرور، فشددت منطقتي، لكي أدفع اذيتي، ورافقت اثنين من التجار، كأنهما من الابرار، فاكترينا من حمار، كأنه اراد ابتدائي بالعار، فرددت عاره، وخبأت ناره، بما فيه أوطاره، حتى يحمد جواره. فخرجنا من تطوان الى السفر، يوم السبت ثامن من عشر صفر....)) وهي المقامة التي ختمها بشعر ذم فيه أولاد مختار على بخلهم، وقد سبقت الاشارة الى ذلك.

2 ـ المقامة التي سماها (المقامة الحالية). وقد وصف فيها، بشكل رمزي، حالته بين الناس وخسارة تجارته ودنو أجله وتعلقه بشخص تجريدي هام به حبا، ومع ذلك سبب له التعب والنكد. وكانت خاتمتها أدعية وأشعارا. وقد افتتحها بقوله:((الحمد لله، محول الاحوال، ومرخي البال، ومقلب الامور، في الدهور، والصلاة والسلام على خير الانام، المبشر بالفرج بعد الشدة، والمنذر بالعناء بعد

29 ـ رافق ابن حمادوش ثلاثة تجاروهم، ابن صابر التلمساني، والحاج عبدالسلام السفاقسي، والحاج عبدالقادر بن كرشال، ولكن الاخير توفي بالوباء في الطريق.

اللذة، فقال تعالى فإن مع العسر يسرا، ان مع العسر يسرا، وبعد لما أن جرى القضاء المحتوم، والامر الملزوم، بأن خف الريش، وأكل الجويش، ومضض العيش، فخلفني الجيش...))

3 ـ أما المقامة الثالثة فقد سماها (المقامة الهركلية). وقد وصف فيها حادثة جرت بالقرب من غرفة نومه بالفندق الذى كان يقيم فيه عندما كان في مكناس. فقد كان نائما في غرفة تعسة بفندق الرحبة فسمع شجارا وجلبة في أعماق الليل. وتبين من أصوات المتشاجرين أن امرأة كانت تطالب رجلا كان يسكن في غرفة مجاورة له بدفع كيت وكيت مقابل نومه معها. ثم هدأت الجلبة وعاد ابن حمادوش الى فراشه ولكنه قرر أن لا يعود الى هذا الفندق بعد ذلك.

ونحن نلاحظ خفة أسلوب ابن حمادوش في المقامات. وتعمده فيها النكت والسخرية. ومقاماته أجود من شعره. ولو أمكن الاطلاع على كل أو جل مقاماته لأعطتنا صورة عن ابن حمادوش الأديب الساخر من الناس والحياة. ولكن حسبنا منه الآن ما عثرنا عليه له منها.

14 ـ هـو والـتـصـوف :

لا يبدو على ابن حمادوش أنه كان من المتصوفة أو حتى المتظاهرين بالتصوف مثل معظم فقهاء وقته. ولم تكن تشيع في كتبه الروح الدينية السائدة عندئذ. ولذلك حكم بعضهم بأنه كان عقلانيا بمقياس ذلك العصر. ومع ذلك فاننا وجدنا في آثاره ما يدل على أنه كان متجاوبا مع روح العصر في هذا الميدان أيضا. ولكن بقدر يسير.

ومن ذلك ما أخبر به هو في رحلته من أنه تردد على ضريح الولي الصالح سيدى علي الريف دفين نواحي تطوان، للزيارة وأخذ العهد. وقد قطع له مرة

مسافة عشرة كيلومبتر راجلا وعبر له وادى الكبتان الذى وصلت مياهه كما يقول الى فخذيه. والغريب أنه لم يذكر زيارات أخرى لأولياء آخرين في الجزائر أو في المغرب رغم كثرتهم وشهرتهم التي ربما تجاوزت شهرة سيدى علي الريف. والغريب أيضا أنه كان في تطوان عندما كانت سمعة الشيخ الطيب الوزاني (1127_1181)، تملأ الآفاق الصوفية وحتى السياسية، وكان الشيخ الوزاني هو ناشر الطريقة الطيبية على أوسع نطاق. وقد لعبت هذه الطريقة دورا أيضا في الاحداث التي جرت في المغرب(ثورة أحمد الريفي ضد السلطان عبدالله) والتي خصها ابن حمادوش بحديث ضاف في رحلته. ومع ذلك فهو لم يذكر أنه زار الطيب الوزاني أو اهتم بطريقته الصوفية. فما السر في زيارته لضريح الشيخ سيدى علي الريفي بالذات؟

ورغم اننا لم نطلع على رسالته (تعديل المزاج) فان من اطلع عليها قد اخبر أن ابن حمادوش قد نصح فيها باستعمال التمائم والرقي وبقراءة أنواع من الاحاديث النبوية ونحوها للتغلب على بعض الامراض التي وصفها. ومن التآليف التي ذكرها في رحلته عمل في الاوراد والأدعية لم يكشف عن محتواه بالتفصيل. كما أن نهاية الرحلة تشتمل على أدعية منسوبة الى عبدالرحمان الثعالبي وغيره مثل كيفية الدعاء على الظالم. وكل هذه الأمور تدل على أن ابن حمادوش لم يسلم من الانجراف في تيار العصر، وهو تيار التصوف. غير أننا لا ندرى الى أية طريقة صوفية كان ينتسب، والغالب أنه كان شاذليا أيضا.

لقد كان ابن حمادوش فخورا بشرفه رغم فقره وكان يعيش، كأمثاله من الاشراف، في الماضي السحيق مقتنعا بأن صلته بآل البيت ستمهد له طريق الآخرة وان حرم نعم الدنيا، بل أنه تعالى على خصمه المفتى ابن علي قائلا:

فلا يدرك المجد المؤثل غيرنـــــــــــا وان أدرك الدنيا وحازها في الايـــــــــدي

كما أنه انتصر للسلطان المغربي عبدالله (رغم أنه لم يسمح له بالدخول عليه بالقصيدة التي انشأها فيه) على الثائر ضده، وهو أحمد الريفي. لأن هذا قد ادعى الشرف بينما الشريف الحقيقي هو السلطان. وفي مدح ابن حمادوش للسلطان افتخر بأنه ينتمي الى نفس الارومة التي خرج منها السلطان (أي السيدة فاطمة).

ونعتقد أن ابن حمادوش كان يشعر بنوع من مركب النقص ازاء زملائه اغنياء العلماء الذين أثروا بحكم صلاتهم بالولاة وتوليهم الوظائف الرسمية، بينما كان الاشراف في الجزائر يعيشون غالبا في فقر مدقع رغم وجود مؤسسة أوقاف تابعة لهم. ولعل ذلك الشعور بالنقص هو الذي جعله ينكب أكبر من غيره من العلماء على الدراسة وينتج في العلوم أكثر مما انتجوا. كما أنه كان بعيدا عن فئة المرابطين التي كان أغلبها قد استغنى أيضا بالهدايا والعطايا والجبايات التي كان يأتي بها اليها الناس من كل حدب. كما أن الولاة كانوا يعفونها من الضرائب.

القسم الثاني

آثارُهُ

1 ـ قائمة مؤلفاته

أ ـ في الطب والرياضيات ونحوها
ب ـ في المنطق والتوحيد وغير ذلك

2 ـ رحلتـه

أ ـ أجزاؤهـا
ب ـ أقسام الجزء الثاني
ج ـ منهجه وأسلوبه ومصادره
د ـ أخبار الجزائر
ه ـ أخبار المغرب
و ـ أحداث أخرى
ز ـ قيمة الرحلة

3 ـ كتابه (الجوهر المكنون من بحر القانون) في الطب

أ ـ مقدمة المؤلف فيه
ب ـ (كشف الرموز) أو الكتاب الرابع منه

4 ـ تعديل المزاج بسبب قوانين العلاج
5 ـ كتاباه في المنطق والتوحيد

لابن حمادوش تآليف كثيرة في موضوعات شتى، أهمها الموضوعات العلمية. ومعظم هذه التآليف مذكورة في الجزء الموجود من الرحلة. ولا ندرى ماذا قد أورد من أسماء مؤلفاته في الجزء الأول ولا الجزء أو الأجزاء الأخرى منها. ومهما يكن الأمر فان هناك بعض التآليف التي ذكرت له ولا نجدها في الرحلة مثل (تعديل المزاج) الذى كتبه بعد تاريخ انتهاء الجزء الثاني من الرحلة (1161) ونسب اليه ايضا كتاب عن الطاعون، وهو غير مذكور في الرحلة.أما (كشف الرموز) المطبوع فقد ذكرنا أنه يرجح أن يكون هو الكتاب الرابع من كتابه (الجوهر المكنون) وهذا مذكور في الرحلة.

1 ـ قائمة مؤلفاتـه :

وقبل أن نورد أسماء مؤلفات ابـن حمـادوش نود أن نبـدى عليهـا ثلاث ملاحظات: الاولى أن بعضها قد يكون مجرد اختصار لمؤلفات معروفة. فهو كثيرا ما يقول قرأت كتاب فلان في مادة كذا وألفت فيه تأليفا ونحو ذلك من العبارات. والثانية هي أن الطابع العام لتآليفه هو العلوم (الطب، الفلك، الهندسة، علوم بحار.. الخ) والملاحظة الثالثة هي أن بعض مؤلفاته لم ينته منه زمن كتابه الجزء الثاني من الرحلة، وهو نفسه ينص على ذلك كقوله ((وأنا ساع في تكميله)) أو قوله وشرعت في وضع تأليف في علم كذا، ونحو ذلك. ولا شك أن بعض تآليفه كان صغير الحجم أيضا، فهو عبارة عن تقاييد في كراسات معدودة.

ومن الممكن تقسيم مؤلفاته الى صنفين :

أ ـ العلوم

ب ـ موضوعات أخرى.

أ ـ في العلوم الطبية والرياضية :

1 ـ شرح على قصيدة الربع على كردفر

2 ـ تأليف في الروزنامة

3 ـ تأليف في الاعشاب لم يذكر عنوانه، لكنه قال عنه ((فان الاعشاب المقيدة في تأليفي كلها معروفة عندى)) ولعله هو الكتاب الرابع (وهو في الاعشاب) من (الجوهر المكنون).

4 ـ تأليف في علم الفلك جمع فيه معلومات في التواريخ السبعة التي تعلمها. وقد سبق ذكرها. وقال عن عنوانه ((وسميته)) لكنه ترك بياضا بعد ذلك.

5 ـ تأليف في الاسطرلاب والربع المقنطر لم يذكر له عنوانا.

6 ـ تأليف في القوس الذى يأخذ به النصارى، لم يذكر له عنوانا.

7 ـ تأليف عن الرخامة الظلية بالحساب، استخرجه، كما قال، من كتب النصارى، ولم يذكر له عنونا.

8 ـ تأليف في صورة الكرة الارضية استوحاه من كتاب لرضوان أفندى في نفس الموضوع. أخبر أنه كان ساعيا في تكميله ولم يذكر بعد أنه قد أكمله

9 ـ تأليف في معرفة الطرق البحرية أو ما يسميه هو (علم البلوط) لم يذكر له عنوانا.

10 ـ كارطة لمعرفة الرياح في البحر، وصفها ولم يذكر لها عنوانا.

11 ـ الجوهر المكنون من بحر القانون في الطب، ذكر أنه انتهى منه ووصفه (أنظر حديثنا عنه بعد قليل)

12 ـ تعليق على ألفاظ الديباجة الواردة في منظومة ابن سينا (؟) لم يذكر لتعليقه عنوانا.

13 ـ بغية الأديب من علم التكعيب، ألفه سنة 1143.

14 ـ فتح المجيب في علم التكعيب، ألفه، حسب قوله، بعد اطلاعه على كتاب للنصارى في المساحة والهندسة وانتهى منه سنة 1160 وهو أساسا يقوم على كتابه (بغية الأديب) السابق.

15 ـ شرح على منظومة ابن غرنوط وهو نفسه (بغية الأديب) السابق. ولعله في صورة أخرى منقحة.

16 ـ تأليف في علم القنبلة (البونبة) ضمه الى ما تعلمه عن عبدالرحمان الفاسي في نفس الموضوع.

ب ـ في موضوعات أخرى :

17 ـ الدرر على المختصر، في المنطق (أنظر عنه بعد قليل).

18 ـ مباحث الذكرى في شرح العقيدة الكبرى، في التوحيد (أنظر عنه بعد قليل).

19 ـ السانح في حواشي المتن والشارح ، حاشية على ألفية ابن مالك في النحو (غير متأكدين الآن من نسبتها اليه، وهي مذكورة في رحلته).

20 ـ تأليف في دعوتي الفاتحة واللطيف وبعض الاوراد الأخرى (نشك أيضا في نسبته اليه، وهو مذكور في رحلته) .

21 ـ الجزء الاول من الرحلة (لسان المقال) وهو الآن مفقود، وقد ذكر أنه انتهى منه سنة 1157 ، وأشار اليه عدة مرات في الجزء الثاني.

22 ـ الجزء الثاني من رحلته المذكورة (أنظر حديثنا عنه بعد قليل).

23 ـ ديوان شعره. ذكره هو كذلك في رحلته. وقد تحدثنا عنه في شعره.

هذه المؤلفات جميعا قد اشار اليها ابن حمادوش في الجزء الثاني من رحلته. وهناك مؤلفات أخرى نسبت اليه وهي غير مذكورة هناك. ولعله كتبها بعد الفراغ

من كتابة الرحلة، ولعلها مذكورة في الأجزاء المفقودة من هذه الرحلة. وجميع الكتب المنسوبة اليه لا تخرج عن الصنف الاول من مؤلفاته، وهي:

24 ـ تعديل المزاج بسبب قوانين العلاج (أنظر عنه بعد قليل).

25 ـ تأليف في الطاعون الذى حل بالجزائر في عهده .(نسبه اليه السيد ليكليرك).

26 ـ كشف الرموز الذى طبع في الجزائر عدة مرات، آخرها سنة 1928 كما ترجم ونشر بالفرنسية سنة 1874 (أنظر حديثنا عنه بعد قليل).

هذا ما عثرنا عليه أو عرفناه منسوبا الى ابن حمادوش من المؤلفات. وهي جميعا مفقودة الآن ما عدا (كشف الرموز) الذى هو قسم من كتابه (الجوهر المكنون) الضائع أيضا، والجزء الثاني من رحلته (لسان المقال) وهو أيضا غير كامل،و (تعديل المزاج) الذى كان السيد ليكليرك قد اطلع على نسخة منه.

ومن مجموع هذه المؤلفات نعرف مدى اهتمام ابن حمادوش بالعلوم الفلكية والهندسية والطبية.وقد ذكر في رحلته أنه ختم صحيح البخارى عدة مرات بالجزائر ولكننا لا نجد له تأليفا في الحديث أو في الفقه، وهو الميدان الذى ازدهرت فيه حركة التأليف على عهده. ومن جهة أخرى لا نجد له عملا تاريخيا حول حادثة هامة أو مدينة معينة ولا عملا في التراجم أو في الأدب باستثناء ديوانه.

2 ـ الرحلة (لسان المقال):

أ ـ أجزاؤهـا :

ألف ابن حمادوش رحلة ذات أجزاء سماها (لسان المقال في النبـاء عن الحسب والنسب والحال) ولكن الموجود منها الآن هو الجزء الثاني فقط وهو مبتور

الآخر. أما الجزء الاول فهو مفقود وانما وجدنا المؤلف يشير اليه في الجزء الثاني بعبارة وقد تقدم في الجزء الأول كذا وكذا. كما ذكر سنة الانتهاء منه وهي سنة 1157 ولا شك أن ابن حمادوش قد تعرض في ديباجة الجزء الأول الى سبب تأليف الرحلة وتسميتها وأجزائها وطريقته فيها ونحو ذلك. والملاحظ أنه هو الذى سماها « رحلة» رغم انها تشبه اليوميات والمذكرات. وقد بناها على السنوات والشهور والايام. وأما تسميتها بـ (لسان المقال) فانه لم يذكره في الجزء الثاني الذي اطلعنا عليه وانما وجدناه مضافا في الهامش من طرف بعضهم. واذا كانت عبارة (لسان المقال) واضحة المعنى فان عبارة (في الحسب والنسب والحال)لا تدل على الموضعات التي عالجتها الرحلة في الجزء الثاني اذ ليس فيها الا أخباره الشخصية وأخبار بلاده وأحوال المغرب وقراءاته من الكتب القديمة. فما المقصود اذن بعبارة (في الحسب والنسب والحال) هل تعرض فيها الى حياة الاشراف بتوسع في الاجزاء المفقودة منها ؟ هذا ما لا نملك الاجابة عليه الآن.

ويغطى الجزء الثاني حوالي أربع سنوات فقط من حياة المؤلف. فاذا افترضنا أنه استمر في الكتابة فانه قد يكون ألف أيضا الجزء الثالث وغيره من هذه الرحلة.فهل أدركته الوفاة قبل اتمامها أو أنه أتمها ولكن ضاع آخرها كما ضاع أولها؟ وعلى كل حال فاننا لا نعرف متى انتهى من تأليف الجزء الثاني من رحلته وكل ما نعرفه هو أن آخر تاريخ مذكور فيه هو سنة 1161 وهي السنة التي كان فيها بمدينة رشيد بمصر كما جاء في آخر رسالته (تعديل المزاج). فهل ألف ابن حمادوش رحلته عندما كان في مدينة رشيد؟ والظاهر أنه قد استمر في الكتابة بعد هذا التاريخ أيضا (أى سنة 1161) بدليلين:

1 ـ أن أحد الباحثين (وهو السيد خونزاليز) قد نقل عنه سنة وفاة علي بوصبع باشا، وهذا الباشا قد توفى سنة 1168.

2 ـ أن أحدهم قد نقل عنه أنه عدل الكواكب في عرض بلاد الجزائر سنة 1168 أيضا. وهذا يدل على أن ابن حمادوش كان في هذه السنة على قيد الحياة وأنه كان ما يزال نشيطا في حياته العلمية رغم بلوغه عندئذ الواحدة والستين سنة. وفي انتظار الكشف عن بقية أجزاء الرحلة ندرس ما هو موجود منها وهو الجزء الثاني.

أقسام الجزء الثاني ومنهجه وأسلوبه ومصادره :

ويمكن تقسيم هذا الجزء الى ثلاثة أقسام رئيسية، الأول قسم المغرب وهو في حوالي 75 صفحة،والثاني قسم نشاطه الشخصي في الجزائر وغيرها من قراءات وتدريس وعمل واتصالات وتأليف. أما القسم الثالث فهو يتناول النصوص والوثائق التي أوردها مثل قائمة ولاة الجزائر من أول دخول العثمانيين الى زمنه وسلاطين آل عثمان الى زمنه أيضا، ومثل نقوله عن كتاب الاكتفاء لابن الكردبوس التي ملأ بها أربعين صفحة من الرحلة، وكذلك عدة صفحات من كتاب الانس الجليل للعليمي، ومجموعة من عقود الزواج (بما فيها عقد زواجه هو وأخته) ومثل أسانيد الصباغ الاسكندرى وأسانيد البناني، واستطرد أيضا فذكر قصصا وحكايات مألوفة مثل قصة العنقاء وقصة الفيل ونحوها.

والواقع أن هذا «المنهج» هو الذى جعلنا نحكم بأن ابن حمادوش كان يكتب مسودة رحلة، ويؤكد هذا رأى الكتاني بأنها بخط المؤلف نفسه. ذلك أن محتواها غير منسجم، اذا استثنينا قسم المغرب، ولا يربط بين أجزائها سوى الانتقال من سنة الى أخرى ومن شهر الى آخر. ذلك أن ابن حمادوش قد اتبع في رحلته طريقة السنوات، أى أنه كان يسجل ما رأى وما عاش وما وقع من أحداث خلال سنة ثم ينتقل الى السنة الموالية وهكذا. واذا أخذنا بالنص الموجود عندنا فالرحلة لا تتجاوز خمس أو ست سنوات من عمر المؤلف ، وهي لا ريب لاتعد شيئا بالنسبة

لعمره الطويل الذى تجاوز حسب رأى غبريال كولون، تسعين سنة. وعلى أية حال فان ابن حمادوش يحشو كل سنة بأخبار ووقائع تتعلق بشخصه في الغالب، فاذا ذكر أشياء أخرى فهي من باب الصدفة كما فعل بذكره ولاة الجزائر،أو لعلاقتها بشخصه كوصفه أحداث المغرب أيام رحلته (ثورة أحمد الريفي على السلطان)، واذا أطال في النقل عن ابن الكردبوس فلأنه كان يسرد كتابه مع شيخه ابن ميمون، واذا فصل الحديث في قراءة البخارى فلأنه كان قد أذن له في حضوره بالجامع الكبير، وهكذا. فالمحور الاساسي في الرحلة اذن هو شخصه وما عداه عارض أو في الدرجة الثانية.

وقد اعتاد ابن حمادوش أن يؤرخ حوادثه بالتاريخ الهجرى (العربي) وغالبا ما كان يضع الى جانبه التاريخ المسيحي (الشرقي أو الفلاحي)، ونادرا كان يؤرخ أيضا بالتاريخ الاسكندرى (ذى القرنين). وهي التواريخ التي كان يعرفها قبل أن يضيف اليها العبرى والقبطى والملكي والفارسي. وكان يترك أحيانا أياما دون أن يملأها بأي حادث وأحيانا شهرا أو شهورا. واذا أعوزته الدقة في التاريخ يذكر ذلك. فقد ينسى التاريخ الدقيق فيعود الى كناشه فلا يجده فيسجل ذلك كما وجده . فعندما كان عائدا من فاس الى تطوان أراد أن يسجل ساعة الدخول اليها فقال انه دخل تطوان يوم الاربعاء قريبا من العصر أو بعده، بل مع غروب الشمس ((وجدته مقيدا)). وعندما أراد أن يسجل نص قراءته لكتاب ((الدر الفائق)) وهو في تطوان قال عنه ((وهذا ما تعلق بذهني وان كان عبرت بعبارة غير عبارة المؤلف)).

وأسلوب الرحلة يمتاز بالسلاسة والتتابع. ولا ينقله الا عبارة الانتقال من فكرة الى فكرة أو من فاصل زمني الى آخر، وهي وفي يوم كذا جرى كذا، أو ثم دخل عام كذا وأوله هو يوم كذا، الخ . وابن حمادوش يكتب بدون سجع ولا محسنات بديعية رغم شيوعها عندئذ عند معاصريه أمثال ابن ميمون وابن عمار.

فهو يكتب بطريقة مباشرة تكاد تكون علمية لدقته. وألفاظه وتراكيبه سهلة بل هي قريبة من العامية أحيانا. ولم يستعمل السجع والعبارات المتكلفة الا في مقاماته وهي غير كثيرة. غير أنه يكثر من الاستطراد في غير محله كايراده بعض النوازل الفرضية والفقهية للدلالة على ذكائه وقدرته على استخراج العويص من المسائل الحسابية، أو كخروجه عن الموضوع الذى يعبر عنه بالنادرة والنازلة واللطيفة والحكاية والحادثة والغريبة ونحو ذلك. ولما كانت الرحلة في شكلها الحالي هي في الغالب مسودة فانها لم تسلم من التكرار أحيانا. ونجد ذلك مثلا في وصف حالة الثائر أحمد الريفي التي كررها، وكونه (ابن حمادوش) كان سيلقي قصيدته في مولاى عبدالله ولم يفعل، فقد ذكر هذا المعنى مرتين أيضا.

ولكن ابن حمادوش يمتاز أيضا بالموضوعية في أحكامه. فقد ذكر بعض أخبار عن ولاة الجزائر دون تحيز وانما كان يذكر الخبر كما وقع أو كما سمعه. فيقول ان الباشا فلانا أول من استبد بالامارة، وأن الباشا فلانا كان مع زوجه على سفاح، ونحو ذلك. وعندما روى أن شيخه ابن ميمون (وكان قاضي المواريث) تقرب الى الباشا بإفشاء عقد زواجه على الناس قال ابن حمادوش ان ذلك ليس من شأنه (ابن ميمون)ولكن من شأن قاضي القضاة ((ولكن أراد القرب بذلك،ولم أدر كيف كتب ولا ما صنع، انما بلغني)) (الرحلة، ص 195). وقد أورد ابن حمادوش أجوبة ومراسلات بشأن لغز أحمد البوني الذي شغل به علماء الجزائر في وقته. لكن لم يهتد الى جواب البوني نفسه عن اللغز فترك بياضا في الصفحة قائلا ((فمن وجده (يعني جواب البوني) فليلحقه هنا في هذا البياض، وما تركته بياضا الا لأجله.)) ومع ذلك فان ابن حمادوش كان أحيانا يفتخر بمعارفه على من يذكرهم في نوازله، ويصف خصومه بادعاء العلم وعدم القدرة على الاجابة ويعرض بطلبة البادية، ويناظر اساتذته حتى الذين أجازوه منهم كأحمد الورززى المغربي. وقد أفرط في الافتخار بنفسه وبشرفه على المفتى الحنفي ابن علي، كما مر بنا.

ومصادر ابن حمادوش نوعان: شخصي ونقلي. ولعل النوع الأول أغلب عليه. ذلك أن كثيرا من الاحداث التي قصها في الرحلة شاهدها أو عاشها بنفسه. فسواء كان يتحدث عن العادات الاجتماعية والتطورات السياسية والعلمية في المغرب أو كان يتحدث عن علاقاته العائلية ورجال عصره ومشاهداته في الجزائر فان مصدره في كل ذلك هو التجربة الشخصية. وينقسم النوع الثاني من مصادره الى نقل شفوى (الرواية) ونقل وثيقي من الكتب ونحوها. ذلك أن ابن حمادوش كثيرا ما كان يقول عن أخباره انها بلغته أو سمعها.

أما النوع الأخير (وهو النقل من الوثائق) فهو أيضا كثيرا عنده. وأهم نقوله من كتب الحديث كصحيح البخارى، وكتب التاريخ كابن الكردبوس والعليمي وكتب الطب كابن سينا والملطي، وكتب الهندسة والمنطق كمقالات اقليدس ومختصر السنوسي. وقد نقل أيضاً عن الوثائق كفهرسة البناني وأسانيد الصباغ وعقود الزواج. وكثير من نقوله جاءت عن طريق القراءات التي كان يمارسها في الفنون المختلفة ولا سيما العلوم والتاريخ ولطائف الاخبار والاحاديث النبوية. وقد تعرضنا لشيء من ذلك في قراءاته.

أخبار الجزائر فيهـا :

يروى ابن حمادوش أخبارا مختلفة عن الأحداث والاشخاص الذين عاصرهم في الجزائر.فبالنسبة للاحداث ذكر مجموعة قيمة تساعد المؤرخين والسياسيين والاجتماعيين على فهم الحياة عندئذ. من ذلك أنه وردت على الجزائر أخبار تفيد أن النصارى (ولم يحدد هويتهم ولعله يعنى بهم الاسبان) رفضوا فدية الاسرى المسلمين، وخصوصا ابن الحاج موسى ونظراءه من مشاهير الرياس. فغضب أميرنا ابراهيم باشا وقرر غلق كنيسة النصارى التي ((كانت عظيمة)) الى أن يقبلوا بالصلح، فان رفضوه هدمت الكنيسة . ولم ينته ابن حمادوش في هذا الخبر لأنه قال ((وها نحن منتظرون ما يقع)).

ومن الاخبار التي توضح علاقات حكام الجزائر بالسلطان العثماني ما رواه ابن حمادوش من أن السلطان قد أرسل سفيرا (أو قبجيا) الى الجزائر فدخل مرساها وبات فيها. ومن الغد دخل البلاد وحده لأن أحدا لم يستقبله من الأختيارية أو كبار الموظفين والاعيان لعلمهم أن مجيئه لا فائدة منه. والمعروف أن الدايات كانوا يرفضون استقبال مبعوث السلطان لاستقلالهم بالحكم في الجزائر، وهذا دليل آخر على ذلك. ولكن الدايات مع ذلك لم يقطعوا الصلة بالسلطان لأنهم كانوا ينظرون اليه نظرة المحمى للحامي، لذلك كانوا يهادونه ويسترضونه وينتظرون منه مباركة أعمالهم في الجزائر ولاسيما أمور التولية. ومن ذلك ما رواه ابن حمادوش نفسه من أن الباشا ابراهيم (تولى سنة 1158) قد وجه الهدايا الى اسطانبول لأخذ الباشالك (أى الباشوية) من السلطان،وذكر أن هذه الهدايا قد بلغت أربعين نصرانيا، وثمانية مكاحل (بنادق) بالاضافة الى أمور أخرى نفيسة.

والباشا ابراهيم المذكور هو آخر سبعين باشا من الولاة العثمانيين في الجزائر الذين أورد ابن حمادوش اسماءهم وتاريخ ولايتهم، مبتدئا باسحاق باشا سنة 915 هـ . وقد ذكر أن أول باشا استبد بالملك عن السلطان هو عبدالله بلك باشي سنة 1064 هـ .ذلك أن الحكم قبل هؤلاء المستبدين كان في يد الباشلار القادمين من اسطانبول. والباشا ابراهيم المذكور كان خزناجي الباشا ابراهيم الذى كان بدوره خزناجي غبدى باشا.ويذكر ابن حمادوش طريقه التولية وهي أن الباشا ابراهيم،خزناجي عبدى باشا،هو الذى عقد قبل وفاته الى خزناجيه المذكور (وهو أيضا الباشا ابراهيم). ويوضح هذا أن الخزناجي كان في الواقع يشغل النائب الأول للباشا، فقد جرت العادة والعرف (وليس القانون) أنه هو الذي يخلف الباشا عند شغور كرسي الولاية. كما ذكر ابن حمادوش بعض العادات عند اعلان التولية كرفع الاعلام الخضراء على الصوامع ورفع الجثمان الى الجامع الكبير للصلاة عليه وقراءة القرآن، ونحو ذلك.

ويتصل بالباشا ابراهيم المذكور ما رواه عنه ابن حمادوش من أنه كان مع أهله على سفاح على مذهبهم، وذلك قبل توليه الحكم. وبعد أن تولى الحكم نصحه أهل مشورته بإفشاء النكاح لأنه بعد التوليه ينشر به الفسوق بين الناس اذا لم يعلنه فخضع الباشا للنصيحة وطلب من القاضي افشاء الأمر. وقد تولى قاضي المواريث ابن ميمون (وهو شيخ ابن حمادوش) هذه العملية رغم انها ليست من اختصاصه (وهي من اختصاص قاضي القضاة) تقربا من الباشا. وأضاف ابن حمادوش قصة أخرى متصلة بهذه في الواقع، وهي أن الباشا المذكور قد زوج حفيده من ربيبته ابنة زوجه. وقد تولى قاضي القضاة وشيخ الاسلام (المفتى الحنفي) كتابة العقد في دار الباشا نفسه ، وزفت العروس في نفس الليلة للحفيد. ومما يذكر أن العقد كتب باللازورد، وتفنن في كتابته القاضي، وعندما عجز عن الابداع عاد الى صيغة عقد نموذجية كان كتبها العالم الأديب محمد بن عبدالمؤمن منذ أكثر من نصف قرن فقلدها القاضي . ويستطيع المرء أن يلاحظ من ذلك روح النقد اللاذع الذى يوجهه ابن حمادوش لعلماء وحكام عصره دون التصريح بذلك.

والى جانب ذلك أورد ابن حمادوش حادثين آخرين هامين : الأول الحجر الصحي الذى كانت تمارسه الجزائر على الحجاج، والثاني توقيع الصلح بين الجزائر والدنمارك. فبالنسبة للحادث الأول قال ان مركب الحجاج قد قدم من الأسكندرية وفيه الوباء فأصدر الباشا أمره بمنع المركب من دخول الميناء الا بعد مضى خمسة عشر يوما. وبعد انقضائها اذن له بالدخول. أما الحادث الثاني فقد ذكر أن الصلح قد انعقد بين الجزائر والدنمارك خلال صيف سنة 1159 (1746) ولكنه لم يذكر تفاصيل هذا الصلح ولا كيفية توقيعه.

وهناك واقعتان تتعلقان بالسياسة الداخلية ذكرهما ابن حمادوش. الأولى حدوث ثورة قامت بها طائفة من قبائل زواوة على قائد سباو، في الثاني والعشرين

من مارس عام 1745م . وقد أرسل الباشا ابراهيم نجدة الى القائد يقودها آغا الصبائحية وفيها نحو مائتي يولداش.وأفادنا ابن حمادوش بأن الحملة قد نجحت في اتلاف قرى الثوار ونهب أمتعتهم وأموالهم، واحراق ممتلكاتهم. وبذلك وضعت الحملة حدا لهذه الثورة التي لا نعرف من قادها ولا أسبابها . أما الواقعة الثانية فهي ما بلغه، وهو في الجزائر، من أن ابن المسراتي، باى الغرب (معسكر) قد هرب سنة 1159 (1746) الى مدينة وهران التي كانت تحت أيدى النصارى. وسبب هروبه، على ما يذكر ابن حمادوش أن أحد أعوانه من أهل الذمة (والغالب أنه أحد التجار اليهود) كان في مدينة الجزائر يخدمه. وقد أصبح هذا الذمى ثريا ثروة طائلة ، فأرسل الى الباى أن فر بنفسك لأن الباشا كان في طلبه غضبا عليه . وقد علق المؤلف على ذلك بأن الباى كان مرضيا عنه من الباشا، ولكن الذمى كانت له أهداف أخرى وراء ذلك ، وهي التخلص من الديون التي عليه للباى.

أما عن السياسة الخارجية، ولاسيما مع الجارتين المغرب وتونس، فابن حمادوش يذكر حادثة على ذلك ويحكيها بشيء من الامتنان لله على قضائه. ذلك أنه قد حل بالجزائر في وقت واحد القائد عبدالواحد ابن الباشا أحمد الريفي (باشا تطوان) فارا من السلطان عبدالله الذى قتل أباه، كما حل بها محمد باى وأخوه محمود باى فارين من تونس من ابن عمهما علي باى. وقد صلوا جميعا رفقة الباشا في الجامع الكبير بمدينة الجزائر. وكان ((سابقا أن يجتمع حاكم تونس وحاكم تطوان على الجزائر فسبق اللطف فكان (اجتماعهما) تحت أمر حاكمنا لا فوقه)).

وقد التقى ابن حمادوش في الجزائر بعالمين أحدهما مغربي والثاني تونسي.أما المغربي فهو الشيخ أحمد الورززى التطواني الذى كان قد قرأ عليه في رحلته وأجازه على ذلك.وكانت زيارة الورززى للجزائر خلال رمضان سنة 1159 (سبتمبر 1946)وقد أقام في المدرسة التابعة للجامع الكبير وأجتمع بعلماء البلاد، ومنهم الشاعر المفتى ابن علي والكاتب أحمد بن عمار وعبدالرحمن الشارف وابن

حمادوش نفسه. واغتنم هذا فرصة وجود شيخه بين ظهرانيهم وقرأ وصحح عليه كتابه (الدرر على المختصر) الذى بدأ تأليفه أثناء وجوده في المغرب. وقد طلب علماء الجزائر من الورززى ان يريهم كيف يبدأ العلماء درسا في التفسير، فالقى درسا أمامهم في الجامع الكبير. أما زيارة الورززى الثانية للجزائر فلم يذكرها ابن حمادوش في النصوص التي عندنا.

وأما العالم التونسي فهو الشيخ محمد الشافعي الباجي الذي يسميه ابن حمادوش «صاحبنا» وكان الشيخ الشافعي قد جاء الى رلجزائر رفقة محمد باى المذكور وظل فيها عشر سنوات يبث العلم ويؤلف. وكان هو والأديب أحمد الاصرم القيرواني من أبرز علماء تونس الذين أطالوا الاقامة في الجزائر عندئذ. وقد تذاكر ابن حمادوش مع الشيخ الشافعي في عدة مسائل منها لغز الشيخ أحمد البوني المشهور، وأورد ابن حمادوش رأى الشافعي في اللغز شعرا ونثرا وعلق عليه.

بعض العادات الجزائرية :

وبالاضافة الى هذه الحوادث الهامة أورد ابن حمادوش جملة من العادات الاجتماعية الشائعة في الجزائر في وقته. من ذلك صفة صلاة معهودة لهم عند ختم صحيح البخارى ورش الخدم لماء الورد على الناس بالجامع الكبير. ومنها ما كان يجرى ليلة القدر. فقد كان متولى الجامع الكبير يفرغ قنطارا أو أكثر من الشمع يفرقه على ثلاثين شمعة خضراء ما بين الثلاثة الى أربعة أرطال في كل واحدة، ويحمل القراء هذه الشموع الى دار المفتى أو الوكيل ويطوفون بها الشوارع ثم يتوجهون بها الى دار الباشا. ومن عادتهم أنهم يرجعون من طريق غير التي جاؤوا منها. وكان أحد الموقتين ينشد بين أيديهم وهم يرفعون أصواتهم بالصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم، فاذا دخلوا المسجد وزعوا الشمع وركبوه في حسك من عود أو غيره وتستمر الأفراح الدينية في مختلف الاماكن الهامة مثل ضريح عبدالرحمان الثعالبي الذى حضر ابن حمادوش فيه كما حضر في الجامع

الكبير. وكما وصف عادة أهل الجزائر في ليلة القدر وصف عادتهم أيضا في الاحتفال بالمولد النبوي في عدة مناسبات وقارن بينها وبين عادات أهل المغرب أيضا.

وفي عقود الزواج التي ذكرها في الرحلة مادة غزيرة للباحثين. فمنها نعرف أنواع العملة المتداولة عندئذ وهي الدينار والخمسينة الجزائرية. ونوع الصداق وقيمة هذا الصداق حسب الأهمية الاجتماعية للزوج. فالقفاطين الموبرة والأطلسية والجواهر والاساور والاماء وفناطير الصوف والنقود، كلها كانت تشكل القاعدة العامة للصداق. أما الاختلاف فهو في العدد والنوع حسب الطبقة الاجتماعية للعروسين وحسب حالة الزوجة بكرا أو ثيبا. ومن هذه العقود نعرف أيضا تفنن العلماء القضاة في صياغتها، ذلك أنها بالنسبة الى البعض ولاسيما الطبقة الراقية كانت فرعا من فروع الأدب، وخصوصا الديباجة التي فيها يتحذلقون في الانشاء ويبدعون التراكيب ويتنافسون في المحفوظ من العبارات والصيغ. أما بقية العقد فهو قوالب جافة من الوثائق والقواعد المعروفة عند الفقهاء والموثقين.

أخبار العلماء الجزائريين :

ولعل ما يهمنا بالدرجة الاولى من ابن حمادوش العالم هو أخباره عن علماء عصره الجزائريين. ومن حسن الحظ أنه ذكر منهم جملة وأخبر عن بعضهم أخبارا مستفيضة وعن البعض أخبارا مقتضبة. ومن القسم الأول شيخه وصديقه محمد بن ميمون الذي طالما جالسه ودرس عليه ومعه. وكان ابن ميمون، لما له من الوظائف الرسمية والجاه لدى الحكام والعلماء، يجعل داره منتدى للادباء. وقد عرفنا أن ممن كان يأتيه اليها أو يرسل هو في طلبه ابن حمادوش نفسه والمفتي الحنفي ابن علي الذي كانت بينه وبين ابن حمادوش الخصومة التي أشرنا اليها.

ومن الذين ذكرهم ابن حمادوش أحمد بن عمار الذى كان صديقا له. وقد اثنى كل منهما على الآخر. وكتب ابن عمار شهادة وتقريظا لكتابه (الدرر على المختصر) على أنه صالح للاقراء والمذاكرة. وهذه العلاقة الطيبة كانت بين ابن حمادوش وعبدالرحمن الشارف الذى شهد له أيضا بتصحيح كتابه على الشيخ الورززى الذى سبقت اليه الاشارة. وقد عزاه المفتى محمد بن حسين في ولده بتعزية جيدة العبارة والفكرة تدل على ما بينهما من صداقة وتقدير. وسبق أن قلنا انه التقى بالشيخ محمد الحنفي قاضي قسنطينة ودرس له كتابا في الرياضيات للحباك.

وهناك عدد آخر من العلماء ذكرهم ابن حمادوش باختصار. ومن هؤلاء معاصرون له وآخرون متقدمون عنه. فمن المعاصرين جماعة كانت تحضر قراءة البخارى في الجامع الكبير أمثال محمد بن سيدى الهادى الذى وصفه ابن حمادوش بأنه كان فصيح اللسان حسن الاملاء، وأحمد العمالي الذى كان يملي البخارى عند تغيب ابن سيدى الهادى، والمفتى المالكي الحاج الزروق الذى هو آخر المفتيين المذكورين في الرحلة.وكذلك عبدالرحمن الزروق وهو أخ المفتى المذكور. ومن المعاصرين الذين لم يكونوا في جماعة حضور قراءة البخارى، أحمد البوني المتوفى سنة 1139 وابنه أحمد الزروق البوني الذى راسله ابن حمادوش الى عنابة طالبا منه جواب والده على اللغز المشهور، فلم يصله منه جواب أثناء كتابة الرحلة. ومحمد بن المسيسنى قاضي المالكية عندئذ، وهو الذى كتب عقد زواج حفيد ابراهيم باشا على ربيبته بنت زوجه. وقد ذكر ابن حمادوش أيضا عالمين آخرين باختصار شديد وهما ابو القاسم بن يوسف الحسني وعبدالملك بن ابراهيم البرنوصي السلياني، وكلاهما شهد له بتصحيح كتابه (الدرر على المختصر) على الشيخ الورززى المذكور. كما ذكر الحاج أحمد بن مسعود الذى أملى على الشيخ الورززى حين تصدره للتدريس بالجامع الكبير.

أما العلماء المتقدمون عنه فقد ذكر بعض اسمائهم وأعمالهم في الرحلة أيضا. ومن هؤلاء محمد بن عبدالمؤمن الذى قال عنه انه ((كان من العلماء الأدباء)). وقد أورد له صيغة عقد زواج كتبها سنة 1087 لتزويج عبدالرحمن المرتضى، وهو من الاشراف، على رقية بنت العالم محمد المقرى. وكان المرتضى صهرا لمحمد بن سعيد قدورة المذكور في الرحلة أيضا ((الفقيه العالم الخطيب الواعظ مفتى المالكية في التاريخ)) (يعني سنة 1087). وقد تولى المرتضى افتاء المالكية أيضا بعد مقتل صهره أحمد بن سعيد قدورة على يد محمد بكداش باشا. ومنهم أيضا (بركات) بن باديس أحد علماء قسنطينة البارزين في وقته وشيخ أحمد البوني، وكذلك يحيى الشاوى الذى هاجر من الجزائر الى المشرق واستقر فيه الى وفاته، وسحنون بن عثمان الونشريسى شارح كتاب السراج للاخضرى في الفلك.

والواقع أن رحلة ابن حمادوش تقدم لنا مجموعة من العلاقات العلمية التي كنا نفتقر اليها في دراستنا للجزائر خلال القرن الحادى عشر والثاني عشر (17 ـ 18 م). غير أنها بدون شك لا تلبي كل حاجتنا واهتمامنا بهذه الظاهرة.

ابن حمادوش والمغرب :

توجه ابن حمادوش الى المغرب للمرة الثانية على متن مركب فرنسي اكتراه ثلاثة من التجار الجزائريين وهم عبدالقادر بن كرشال وابن صابر التلمساني والحاج عبدالسلام الصفاقسي. وقد توفى الأول بالوباء في جبل طارق. واذا كان سبب ذهاب هؤلاء الى المغرب واضحا، وهو التجارة،فان سبب ذهاب ابن حمادوش الى هناك مازال غامضا. غير أنه ذكر عرضا أن حب الدنيا وكيد النساء كانا وراء رحلته. ولعله يعنى بحب الدنيا التجارة وبكيد النساء دفع زوجه له في هذا الطريق، لأن بقاءه في الجزائر بدون مال قد نغص عليه حياته العائلية.ففي رجز له نظمه بتطوان عندما تحطمت السفينة التي كانت ستقله الى الجزائر، قال عن

حب الدنيا ((لأجلها ركب الأحمق البحور)) وهو يعني بالأحمق نفسه. أما عن كيد النساء فقد ذكره في نفس الرجز قائلا ان ابليس قد استعان عليه بالنساء عندما فشل في دفعه وحده:

فنال ما يبغى من الرجال بشبكة النسا من الأمالي

ولم تكن اقامته بالمغرب اقامة رغدة. فقد وجد هناك من تقلب الاحوال وكثرة الفتن واختلاف العادات والخسارة في التجارة ما جعله يسجل بعد عودته الى الجزائر هذه العبارة ((وكنت تعبت في السنة الماضية (يعني السنة التي قضاها هناك) في المغرب من مرض وخسارة وضيق، ولم أرفط ما رأيت فيه من ضيق العيش والخسارة والعياذ بالله. حتى أيقنت الهلاك)). (الرحلة ، ص 76).ولا غرابة في ذلك من رجل ظل حوالي أربعة أشهر وهو ينتظر في ميناء تطوان وصول سفينة تحمله الى الجزائر، وعانى من الرياح المعاكسة ما أثر في نفسه وسبب له حزنا عميقا.

ومهما تكن أسباب وأهداف رحلته الى المغرب، فان ما سجله من انطباعات وأحداث وأسماء جدير ببعض التحليل والتأمل. والواقع أن الرحلة أكتسبت هذا العنوان من وجود المؤلف بالمغرب، ولو لم يكن الأمر كذلك لما كان هناك داع لاعطائها هذا العنوان،لأن ما جاء فيها في غير هذا الموضوع عبارة عن يوميات المؤلف الشخصية التي كتبها عن نشاطه بالجزائر، وهو نشاط لا يدخل ضمن مفهوم الرحلة المتعارف عليها.

ويمكننا تقسيم ما كتبه ابن حمادوش عن المغرب الى ثلاث وحدات: الحوادث، والعادات والعلماء. وأهم حادث اهتم به وخصص له بعض الصفحات بل وكرر وصفه هو ثورة أحمد الريفي باشا تطوان على السلطان عبدالله سنة 1156

(1743). ولعل اهتمامه بهذه الحادثة يعود الى أنه كان شاهد عيان لآثارها وكان راوية لأخبار استقاها عنها من مشاهدين أيضا بينما كانت ما تزال ساخنة. ولم يكن موقف ابن حمادوش من الريفي موقف المؤيد، فهو يعتبر نفسه رجلا شريفا بينما الريفي كان قد ادعى الشرف وزها بنفسه وظن غلبة سيده (السلطان عبدالله)،وفرض المكوس في تطوان وادعى السلطنة لنفسه. لكن المغاربة، في نظر ابن حمادوش،شعب لا يطيع الا الشرفاء. لذلك رفضوا دعوى أحمد الريفي رغم استظهاره بحجة مزورة. فلما لم يمكنه الوصول الى السلطنة عن طريق الشرف انتصر للأمير المستضيء بنور الله ابن السلطان اسماعيل. وحاصر مدينة فاس. وقد كان مصيره الهزيمة والقتل على يد جيش السلطان عبدالله.وكان هذا الحادث فرصة لابن حمادوش في تهنئة السلطان بهذا الانتصار على ((النطفة الفاجرة المفسدة في الارض)) بقصيدة تعرضنا اليها أثناء الحديث على شعره. وقد عرفنا أنه لم ينجح في الدخول بها على السلطان. ووصف ابن حمادوش الغنائم الكبيرة التي حصل عليها السلطان عبدالله نتيجة هذا الانتصار. كما اعتبر مقتل الريفي ((من الالطاف بهذه البلاد والا فقد اشتد بها الخوف والحبوب زيد في سعرها)).

وكان وصف ابن حمادوش لآثار هذه الحادثة وصفا مؤثرا. فالعرب قد تهيأوا لأكله (هكذا قال)هو وأصحابه، لأنهم الفوا الفتنة والهرج. وكاد يقع فريسة بين ايديهم لولا نسبه الشريف حين ((أراني الله في أعينهم كبيرا)). وكانت العرب (وهو لاشك يقصد الاعراب أو أهل البادية)تقول ((ان الوقت لا سلطان له، فمن فعل شيئا فاز به)). ودعا ذلك الفوضى بعينها. وتحدث خاصة عن الهرج الذي وقع بين العرب والوداية حينما قطعت السبل بين فاس البالي والجديد. وتعرض هو ورفاقه أثناء ذلك الى الاهانات البالغة التي وصلت الى حد انتزاع عمائمهم. وحتى أصبحوا يشعرون أنهم كانوا ((بثغر من الخوف)). كل ذلك ((والسلطان في هذا كله لم يغضب)).ولم يسلم من حكم المؤلف القاسي لا السلطان ولا العرب ولا الوداية. فالأول كان يشاهد هذه الفوضى دون أن يتخذ اجراء لوقفها، وكان

حجابه غلاظا شدادا لم يسمحوا لابن حمادوش بتقديم القصيدة التي انشأها فيه بين يديه. والعرب قد اعتادوا الفتنة والفوضى. أما الوداية فقد طلب اليهم لعنة الله. ومن الحوادث الخاصة بالمغرب أيضا ما جاء في الرحلة من هروب عبدالواحد بن أحمد الريفي الى الجزائر فرارا من السلطان عبدالله. وقد سبق الحديث عن هذه الحادثة في قسم الجزائر.

بعض التقاليـــد المغربيـــة :

أما عن العادات والتقاليد الاجتماعية والدينية في المغرب فقد ذكر منها ابن حمادوش جملة كثيرة الفائدة. من ذلك طريقة فرض المكوس في ميناء تطوان التي اعتبرها عادة قبيحة ووصف لنا زيارته عدة مرات لقبر سيدي علي الريفي الذي كان يبعد حوالي عشرة كلم عن تطوان وقال بأنه قد ذهب اليه راجلا ، خائضا من أجله نهر الكيتان الى الفخذ، وقبل يد خادم الضريح للاعتقاد فيه وقد أخذ منه العهد، ووصف ابن حمادوش وصفا حيا الطريق التي مروا بها من تطوان الى فاس عبر مكناس والعكس. فقد تحدث عن الوديان ونوع الاشجار وعادات القبائل. كما شاهد الطيور التي لا تلد الا فوق الماء. وحصاد الشعير في شهر أفريل، واستعمال قوارب البردى للنقل، وأعجب بقسمة مياه مدينة فاس التي تعم البساتين والدور وغيرها. وبألواح قباب فاس، وبالاخص اللوح الذى يقع داخل قبة المولى ادريس، وقارن بين عادات أهل الجزائر وعادات أهل فاس في الاحتفال بالمولد النبوى كاستعمال قباب الشمع التي قال عنها انها في المغرب ((أخف مما يجعل في الجزائر عندنا)). وقال ان من عادات أهل فاس في يوم العنصرة هي أكلهم لية الضأن بالقرفة والكسكسي. وتحدث عن لبس نساء فاس لعمائم كبار من الحرير بخلاف الرجال فانهم لا يلبسون العمائم الا قليلا. وأخذ على رجال أهل فاس تزينهم في الأفراح بزينة النساء ((بخلاف زينة بلادنا)). كما أخذهم على كشف العورة في الحمام واعتبر ذلك من أقبح العادات عندهم. أما

لباس السلطان فقد ذكر أنه يشبه لباس أهل مكة. ولمح الى انتشار الحنا حين روى ما سمع في الفندق الذى كان يقيم فيه هناك (انظر المقامة الهركلية). ولم تفت ابن حمادوش الملاحظة حتى على أحوال الطقس ومستوى المعيشة وغرائب الصدف، كما مر بنا.

علمـــاء الـــمغـــرب :

ومن أهم ما سجله ابن حمادوش عن المغرب مجموعة من أعلام العلماء عندئذ وأخبارهم. ولاشك أن رحلته ستظل مصدرا هاما لهذه النقطة لأن فيها لقطات عنها قد لا توجد في غيرها. وفي مقدمة هؤلاء محمد بن عبدالسلام البناني الذى حمل اليه ابن حمادوش أمانة من الجزائر وحضر دروسه وأجازه البناني على ذلك. وكان البناني يدرس أيضا صحيح البخارى. أما مسمعه فيه فقد كان محمد بوزوبع التلمساني. وقد استعار ابن حمادوش فهرس البناني الذى يبلغ كراستين وكتب أغلبه في الرحلة آتيا على ذكر ستة عشر من شيوخ البناني مع تفاصيل في الكتب المقرؤة والاسانيد المروية. وهؤلاء هم : محمد بن عبدالقادر الفاسي، احمد بن العربي بن الحاج، محمد بن احمد القسنطيني المعروف بالكماد، والعربي بن أحمد بردله، والحسن بن مسعود اليوسى، وبومدين المكناسي، وعبدالسلام القادرى، وعلي بن محمد بركة التطواني ،وسعيد الحميرى، ومحمد بن احمد المسناوى الدلائي، وعبدالملك التجمعوتي، وأحمد بن محمد بن ناصر الدرعي، وأحمد بن يعقوب، ومحمد بن عبدالرحمان بن (؟) التارزى، ومحمد الطيب بن محمد الفاسي، ومحمد بن الصغير، ومحمد بن قاسم بن زاكور. وقد بلغت الصفحات التي ملأها ابن حمادوش من هذا الفهرس 24 صفحة.

وكما درس على الشيخ البناني وأجازه درس أيضا في تطوان على الشيخ أحمد الورززى وأجازه بكل مروياته. وكان ابن حمادوش قد دخل في مناقشة مع شيخه

حول مسألة تفضيل الملائكة على الانبياء أو العكس وموقف أهل السنة والمعتزلة منها. وانتهى به الأمر الى أن اعتبر شيخه الورززى معتزليا وأكد ذلك برأى الشيخ البناني فيه أيضا. وقد أشرنا الى أن الشيخ الورززى قد تدخل من أجله لدى سلطات ميناء تطوان حتى اعفوه من المكوس. كما أن العلاقة بينهما أزدادت تمكنا أثناء زيارة الشيخ الورززى لعاصمة الجزائر خلال شهر رمضان سنة 1159. وقد سبقت الاشارة الى ذلك.

ودرس ابن حمادوش أيضاعلى الشيخ أحمد السراثرى، وبالخصوص ألفية العراقي. وكان قد نزل عنده في فندقه قبل توجهه الى مكناس وفاس. وعند العودة الى تطوان وجد شيخه السراثرى قد توفي. ومن أهل العلم بتطوان الشيخ عبدالله جنان، وهو كما يقول عنه ابن حمادوش، من ذرية عبدالله جنان الذى حشى سيدى خليل. وقد أورد له قصيدة طويلة في مدح تطوان وأهلها ووصف حالته. وكان عبدالله جنان قد قرأ على ابن حمادوش قبل رجوعه الى الجزائر.

أما من علماء مكناس فقد لقي الشيخ عبدالسلام القباب مؤقت جامع النجارين، والشيخ عبدالقادر الفاسي مؤقت الجامع الكبير، ولكن خاب ظن ابن حمادوش في الشيخين. فقد وجد الأول لا يحسن سوى علم التوقيت. وكان الفاسي أعلم منه به . غير أنه (أى الفاسي) كان مشغوفا بالاحكام بدل التوقيت. ولاشك أن مكناس كانت عامرة عندئذ بعلماء أجلاء لم يذكرهم ابن حمادوش. ونحن لا ندرى كيف كان ينتقى هؤلاء العلماء، ولكن الظاهر أنه كان يسأل عنهم أو يتوجه الى المساجد حيث الدروس والمناظرات، ومن هناك تبدأ الصلات بينه وبينهم.

وفي مدينة فاس التقي ابن حمادوش بعدد من العلماء الذين أعجب ببعضهم كما انتقد آخرين منهم. ومن القسم الأول الحكيم عبدالوهاب أدراق، طبيب السلطان اسماعيل وذريته. وقد أثنى عليه نثرا وشعرا وخصه بقصيدتين ووصف

قصره وطريقة استقباله للزائرين والمرضى ومداواته، وأخبره أنه انما جاء اليه ليستفيد من علمه. وبقدر ما أعجب بالحكيم ادراق لاهتمامه العلمي والدنيوي معا، اثنى أيضا على الشيخ أحمد بن المبارك. فقد قرأ عليه مختصر السنوسي والخبيصي، وكلاهما في المنطق.ووضع بهذه المناسبة تقاييد كانت هي أصل كتابه (الدرر على المختصر) الذي سنتحدث عنه. واستجازه ابن حمادوش لكن ابن المبارك توفي قبل كتابة الاجازة، وكان عازما على منحها له. فرثاه بقصيدة طويلة اعتبرها باكورة الرثاء فيه. وكاد ابن حمادوش يحرم من اجازة شيخه لولا أن شهد له القاضي عبدالقادر بن العربي بوخريص، تلميذ ابن المبارك أيضا، على ذلك. فاطمأن ابن حمادوش نفسا وحصل على مرغوبه. وقد انتقد الشيخ محمد القسنطيني الذي قال عنه انه كان يدعى التنجيم وهو لا يعرف منه الا القليل، وورطه ابن حمادوش،حسب دعواه، فوجده لا يستطيع الوقوف بعلمه أمام العلماء وكل ما كان يقدر عليه هو الحكم للعامة.

أحـــداث أخـــــرى :

وتكاد رحلة ابن حمادوش تقتصر على حياته الشخصية وعلى أخبار الجزائر والمغرب.لذلك فان ما جاء فيها من أخبار وحوداث أخرى تعتبر قليلة الأهمية نسبيا. هذا بالطبع اذا استثنينا نقوله من الكتب والوثائق المعاصرة له أو المتقدمة عليه. ومن أخبار تونس في الرحلة ما ذكره عن فرار محمد باى من ابن عمه على باى صاحب تونس وترحيب باشا الجزائر به. وقد سبق الحديث على هذه النقطة. وبالاضافة الى ما ذكره عن الشيخ محمد الشافعي الباجي الذى جاء الى الجزائر مع محمد باى المذكور، وما تحدث به عن شيخه محمد زيتونة، فان ابن حمادوش ذكر حكاية قصيرة عن امام جامع مدينة سوسة وقعت له أثناء حجه الاول سنة 1131. فقد جاء في الرحلة أن الامام المذكور خرج مع صاحبه الى جمع كانوا يضربون العود. وبعد الوقوف والتأمل سمع ابن حمادوش، وهو في فندقه، الامام المذكور يقول لصاحبه ان أصل العود هو أن ساقا لميت آدمى قد تركت بالعراء

حتى يبست ولم يبق منها الا العروق والعظام. وعندما هبت الريح حركت العروق فأحدثت صوتا موسيقيا. فكان هذا، في نظر الامام، هو أصل الموسيقى. ورغم أن ابن حمادوش قد مر بتونس (ولعله قد زارها قارئا أو تاجرا) فان الجزء الذى بين أيدينا من الرحلةلا يحتوى الا على هذه النتف عنها.

وبمناسبة الحديث عن ولاة الجزائر استطرد ابن حمادوش ليحدثنا عن ملوك آل عثمان، وقد أوضح أنهم ليسوا من ذرية عثمان بن عفان رضي الله عنه ولكنهم من ذرية عثمان التركي الذى توصل الى الملك. وعدد هؤلاء الملوك (السلاطين) ابتداء من عثمان خان سنة 641ه الى محمود خان عام 1143 الذى قال عنه انه ((باق الى الآن)) (سنة 1158) ويعنى بذلك وقت كتابة مذكراته أو رحلته. ومحمود خان هو الذى ذكر ابن حمادوش من قبل أن الباشا ابراهيم ((أبقاه الله)) قد أرسل اليه الهدية لأخذ الباشوية لنفسه منه. وعدد سلاطين آل عثمان الذين ذكرهم خمسة عشر سلطانا.

وهكذا يتضح أن رحلة ابن حمادوش تكاد تقتصر اخبارها على المغرب والجزائر بالاضافة الى ما فيها من حديث عن نفسه. ولكنها تتضمن أيضا مجموعة من النصوص المنقولة عن الكتب والوثائق القديمة مثل كتاب الاكتفاء لابن الكردبوس والانس الجليل للعليمى، ومثل عقود الزواج وفهرس البناني وأسانيد الصباغ وغيرها. وقد تعرضنا الى هذه الكتب والوثائق سابقا. وهناك اشارات في الرحلة أيضا الى أنه قد جاب بلاد الترك والعجم، راكبا وراجلا، ولكن هذه مجرد اشارات. ولانشك في كثرة اسفاره واطلاعاته التي قد يكون سجلها في غير الجزء الذي بين أيدينا.

قيمة الرحلة :

تعتبر الرحلة قطعة هامة من تراث الجزائر الوطني خلال القرن الثامن عشر. ذلك أن الكتاب المغرضين كثيرا ما روجوا بأن الجزائر في العهد العثماني لا تملك من هذا التراث الا اليسير،والواقع أننا نجد مجموعة من الأعمال الجزائرية التي كتبت خلال القرن المذكور منها (التحفة المرضية) في سيرة الداى محمد بكداش،و (الثغر الجماني) في سيرة الباى محمد الكبير،و (نحلة اللبيب) في التشوق والاستعداد للحج الى بيت الله الحرام،و (نزهة الانظار) للورتلاني وهي رحلة حجازية، وغيرها.

وتختلف رحلة ابن حمادوش في أنها لا تتحدث عن سيرة شخص كالكتابين الاولين ولا عن ملابسات الحج كالكتابين الأخيرين، بل هي تروى في أسلوب يكاد يكون شعبيا وقائع وتواريخ واسماء كانت في الجزائر. وتمتاز أيضا بأنها تشتمل على جزء هام من حياة المغرب بدل المشرق، فهي، اذا نظرنا اليها من هذه الزاوية، رحلة مغربية لا مشرقية.ولدينا وثيقة أخرى اكتشفها الاجانب وهي (تقييدات ابن المفتى)التي كتبت أيضا في القرن الثامن عشر،والتي كتبها أحد المعاصرين لابن حمادوش.وقد تضمنت أيضا حياة العلماء (المفتيين المالكية والاحناف والقضاة)وقد أورد اسماء لبعضهم نجدها في ابن حمادوش أيضا، مثل محمد بن ميمون والحاج الزروق، وتمتاز رحلة ابن حمادوش على تقايد ابن المفتى بأن صاحبها كان لا يسرد اسماء العلماء «الرسميين» ولكن يتحدث عن حياة المثقفين في الجزائر، بما في ذلك العلماء الرسميون. ثم ان عمل ابن المفتى يعتبر صغير الحجم بجانب عمل ابن حمادوش، وهو مكتوب بلغة تكاد تكون عامية. ولكن ابن المفتى تناول أيضا حياة الباشوات وتصرفاتهم وأعمالهم، وامتاز على ابن حمادوش بأنه لم يذكر اسماءهم مجردة بل كان يعلق على عهد كل منهم ويذكر ماله وما عليه .

ورغم ضعف منهجية الرحلة وكثرة الاستطرادات والحشو فانها ستبقى مصدرا لا يستغنى عنه لفهم الحياة الاجتماعية والثقافية وحتى السياسية للجزائر والمغرب. ذلك أن ما جاء فيها من أخبار اجتماعية (كالعادات والتقاليد، والأسعار، والنقود، والمهور، واحياء المولد النبوى وليلة القدر، والاعياد ، الخ) يعتبر مادة أولية بالنسبة للباحثين في القرن الثامن عشر. وقد عرفنا كم تحدث ابن حمادوش عن اجازات العلماء وعاداتهم في القراءة والاقراء، وعلاقاتهم ببعضهم وتنافسهم ومقدار معارفهم، سواء كانوا في المغرب أو في الجزائر. وهذه النقط هي مكان القوة في هذه الرحلة.

أما الحياة السياسية فبالرغم من أن ابن حمادوش لا يكثر من الحديث عنها، سيما في الجزائر، فان ما جاء منها في الرحلة يجعله ضروريا لكل طالب حقيقة. ولاشك أن كتابته عن ثورة أحمد الريفي في المغرب تعتبر مصدرا أساسيا لفهم هذه الثورة. كما أن ما جاء فيها من أخبار عن ولاة الجزائر والصلح مع الاجانب وبعض الثورات الداخلية لا يمكن الاستغناء عنه لأنه لم يظهر حتى الآن ما يجعله مصدرا ثانويا.

وهناك قيمة أخرى لهذه الرحلة وهي أنها مصدر لحياة مؤلفها. ذلك أن المعاصرين لابن حمادوش لم يترجموا له، كما لم يترجم له، حسب علمنا، المتأخرون. وبذلك ظلت حياته مجهولة ولم يستطع ناشرو أعماله خلال القرن الماضي وبداية هذا القرن أن يكتشفوا منها حياة مؤلفها. أما هذه الرحلة ففيها، كما عرفنا، الكثير عن أخباره ونشاطه العلمي وتآليفه وأسفاره وعلاقاته. واذا كانت لا تجيب على كل الاسئلة المتعلقة به فانها لاشك تلقى أضواء على بعض الجوانب الخفية من حياته، ومن خلالها نستطيع أن نقول اننا نعرف الكثير عن ابن حمادوش. ومن سوء الحظ أن جزأها الاول ضائع كما يعتبر باقيها ضائعا أيضا. ولو امكننا الاطلاع على كل الرحلة لجاءت صورة صاحبها كاملة أو تكاد.

وتحفل الرحلة بمادة غزيرة من أسماء الاماكن وبعض التراكيب العامية والمصطلحات المحلية التي تزيد في قيمتها لدى الباحثين. فالمؤلف يورد اسماء الحامة والتالاملي (وليس التلملي) وجبل بومعزة الواقع تحت جبل بوزريعة، وسباو، وغير ذلك من الاماكن التي تهم المؤرخين والجغرافيين وحتى أهل اللغة. وفي الرحلة طائفة من أسماء الاعشاب التي كان يدرسها ويتعلم العلاج منها. بالاضافة الى تصحيح لأعلام الباشوات وألقابهم. فهو يكتب آهج بدل هجي (عندخونزاليز) وباشة بدل باشا، والأجه بدل اهجي (عند خونزاليز أيضا). وروى ابن حمادوش أن أمه قد عيرته حين غضبت منه فقالت ((لسؤ سعدى)) أنجبتهم (لعله يعنى هو واخوته) ذكورا لا اناثا. وعبارة ((سوء سعدى)) تقولها النسوة الى اليوم في مدينة الجزائر مع بعض التحريف. وهذه المعلومات مبثوثة في الرحلة وهي ذات أهمية في نظرنا لدارس المجتمع الجزائري في القرن الثامن عشر.

والباحث عن تراجم العلماء خلال الفترة المذكورة يجد في الرحلة مادة هامة. والمعروف أن لابن عمار كتابا مفقودا سماه ((لواء النصر في فضلاء العصر)) ولاشك أنه ترجم فيه لنخبة من معاصريه، ولعل منهم ابن حمادوش. ونحن لا نكاد نعرف عن ابن عمار نفسه الا ما ذكره هو في (نحلة اللبيب) وبعض الاخبار الاخرى قليلة الأهمية. أما رحلة ابن حمادوش ففيها عنه معلومات طيبة. وكذلك تقدم لنا الرحلة معلومات هامة عن محمد بن ميمون (صاحب التحفة المرضية)، وهو أيضا غير مترجم له ولا توجد عنه الا أخبار ضئيلة قبل اكتشاف رحلة ابن حمادوش.وكما أورد ابن حمادوش أخبارا عن ابن ميمون وابن عمار فقد قدم معلومات حية عن بعض علماء المغرب، وخصوصا محمد بن عبدالسلام البناني وأحمد الورززي، وأحمد بن المبارك،وعبدالوهاب ادراق، ولعله يعتبر أول من نقل فهرس البناني وفهرس الصباغ الاسكندري الى الجزائر.

وتمتاز الرحلة بروحها العلمية والنقدية. فابن حمادوش كما لاحظنا كان كثير الاهتمام بالمسائل العلمية. وهو بالمقارنة الى غيره لا يحفل كثيرا بالسجع والزخرفة

اللفظية (كابن ميمون) في أسلوبه، ولا بالروح الخرافية والاسطورية (كالارثلاني).حقا اننا نجده يزور قبر الشيخ علي الريفي عندما كان بتطوان ولكن زيارة القبور لم تكن عندئذ علامة تخريف عقلي، كما ذكر في الرحلة أنه ألف كتابا في الاوراد ونحوها، غير أننا لم نطلع على ما فيه ولذلك يصعب الحكم عليه من خلاله. أما الروح الدينية الصوفية فهي بضاعة العصر، لذلك كانت ظاهرة في رحلته أيضا، ولكنها ضعيفة بشكل يلفت النظر، رغم ادعائه الشرف وتمسكه بالمذهب الاشعرى. وهو في مناقشاته مع الطلبة والمعترضين يظهر عليه التفكير المنطقي وتقدير العبارات حق قدرها، وكان يحاج المعترض حتى ينتصر عليه في دعواه. وكان ابن حمادوش ينتقد بعض علماء عصره ويجادلهم سواء منهم الذين استنقصوه كابن علي أو الذين أجازوه كالورززى، أو الذين كان يجالسهم ويقرأ معهم كابن ميمون. وهذه من الظواهر الايجابية في عمله الذى نتحدث عنه.

والنقول التي أوردها ابن حمادوش من الكتب والوثائق تعطى لرحلته قيمة أخرى. فبالرغم من أن بعض الكتب قد طبع (كالانس الجليل) فان ما بقي من هذه النقول ، ولاسيما نصوص العقود والاجازات والاسانيد والشهادات يعتبر على درجة قصوى من الأهمية.

وهكذا يتضح أنه بالرغم من بعض نقاط الضعف فان رحلة ابن حمادوش تتمتع بقيمة نادرة كجزء من التراث العربي الاسلامي للجزائر وكمصدر لمعرفة الاحوال الاجتماعية والثقافية والسياسية، وكسيرة ذاتية للمؤلف نفسه.

3 ـ كتابه كشف الرموز :

سبق أن أشرنا الى أن الكتاب المطبوع بعنوان (كشف الرموز) لابن حمادوش هو في الواقع الكتاب الرابع من مؤلفه الكبير في الطب الذي سماه

(الجوهر المكنون من بحر القانون) ولم يهتد الى ذلك ليكليرك الذي ترجم (كشف الرموز) الى الفرنسية ولا كولان الذي درس الكتاب وحصل به على الدكتوراه في الطب ولا ناشره بالعربية السيد أحمد بن مراد التركي المعروف برودوسي غير أن كولان ورودوسي تفطنا الى أن الكتاب غير مستقل بذاته نظرا لبدايته التي لا تتماشى مع ما اعتاده المؤلفون المسلمون من ذكر الديباجة المتضمنة للغرض من التأليف واسم الكتاب وخطته ونحو ذلك.

ذلك أن (كشف الرموز) يبدأ مباشرة بالكتاب الرابع وينقل من ابن سينا عدة صفحات وترد فيه اسماء النباتات وغيرها والأدوية. وحين وصف ابن حمادوش في الرحلة الكتاب الرابع من (الجوهر المكنون) قال عنه ((ونويت أن أجعل الكتاب الرابع في حل ألفاظ المفردات وتعريبها ما أمكن)). وقد علمنا أنه قد انتهى من هذا الكتاب ووفى فيه بما نوى وشرح المفردات وعرب منها ماشاء. والذي كشف لنا عن هذه الحقيقة هو الجزء الثاني من رحلته. ولعل حرص الناس على التداوى بالاعشاب هو الذي جعل بعض النساخ يفصلون الكتاب الرابع عن بقية (الجوهر المكنون) الذي لا يهم في بقيته الا الخاصة. فكثر تداول الكتاب الرابع ونسي أصله وهو (الجوهر المكنون). ولذلك تعددت نسخ الكتاب الرابع (أي كشف الرموز) اذ نجد منها في الجزائر (30) وفي المغرب الأقصى (31) وفي باريس، وهكذا، بينما لا نعرف شيئا عن (الجوهر المكنون) الا ما جاء عنه في الجزء الثاني من (لسان المقال).

ومن ثمة رأينا نقل ماكتبه ابن حمادوش نفسه هناك كمقدمة لكتابه (الجوهر المكنون). والملاحظ أنه انتهى منه بكتبه الأربعة . وهذا نص كلامه.

---

30 ـ مثلا رقم 1764 ورقم 1765 بالمكتبة الوطنية الجزائر.

31 ـ الخزانة العامة بالرباط مكتبة الاوقاف رقم 337 مجموع. وقد طبع أيضا بالمغرب في الخمسينات.

((وفي يوم الأثنين أول من ذى الحجة (سنة 1157) ابتدأت تأليف الجوهر المكنون من بحر القانون تأليف حسن في الطب : الحمد لله الغفور الرؤوف، الشكور الحليم العطوف، الباعث الرسل الكرام رحمة للانام، الجاعل من الماء ترياقا والحياة من الحيات، ومعدل ما انحرف من المزاج بالعلاج، والصلاة والسلام على من سيقت به المفردات وأينعت به المركبات، وبعد.

فهذا جوهر مكنون من بحر القانون يتوشح به الاصاغر ولا تمجه الأكابر، والله المستعان، وعليه التكلان، وقد جعلته مرتبا على أربعة كتب الكتاب الأول في السموم وذوات السموم وعلاجاتها، والكتاب الثاني في الترياقات وما يجرى مجراها ان وجد من الباذزهر وبعض المعاجين الذي يضطر اليها المرء، والكتاب الثالث في الامراض مرتبا ذلك على جدول حنين ابن اسحاق المتطبب، وهو كتاب جليل ان تم، فيه الاسباب والعلامات والعلاجات، وهو الى الآن لم يتم.

ونويت أن أجعل الكتاب الرابع في حل ألفاظ المفردات وتعريبها ما أمكن ان شاء الله.وبالله تعالى التوفيق...

فـي يوم الاثنين الثامن عشر من ربيع الاول (سنة 1158) تممت الجوهر المكنون من بحر القانون في الطب)).

واذا كنا نتأسف على ضياع الكتب الثلاثة الاولى من (الجوهر المكنون) فان وجود الكتاب الرابع منه يعوضنا بعض ما فقدناه ويعطينا لمحة عن طريقة ابن حمادوش في بقية الكتاب.

ومهما كان الأمر فان (كشف الرموز) المطبوع عبارة عن قاموس طبي سار فيه ابن حمادوش على طريقة المعاجم الابجدية وضمنه، بعد مدخل في أنواع

وأوصاف الادوية،اسماء النباتات والعقاقير والحيوانات والمعادن أيضا. ولذلك فانه من الخطاء اضافة عبارة ((في بيان الاعشاب)) التي ظهرت في الطبعة العربية. فالكتاب يتناول غير النباتات أيضا. وقد ذكر فيه أسماء المفردات الشائعة عند الجزائريين بالاضافة الى تلك التي اطلع عليها في المشرق والمغرب، كما استعان بتعريفات ومصطلحات الأطباء السابقين له. وكان يكثر من تأصيل كل اسم وما يعرفه عنه فيقول:((عندنا كذا)) وفي ((مصر يسمى كذا)) وفي سورية كيت وكيت ، وهكذا. وجاء فيه عدد من أسماء الادوية وغيرها التي وردت على الجزائر من أروبا في العهد العثماني أيضا. بالاضافة الى الموجود منها في اللهجات المحلية. والكتاب يضم حوالي ألف مادة (987) حسب احصاء ليكليرك، في مختلف الأنواع المذكورة، ويشتمل على معظم الادوية والامراض المعروفة في الجزائر على عهده.

وقد اعتمد ابن حمادوش على مصادر كثيرة لكتابة عمله حتى أن ليكليرك زعم أنه قد اختصر أعمال الاقدمين في الطب وأنه سار على نفس طريقتهم الابجدية، ولكنه أضاف الى ذلك ما استحدث عند قومه وما ورد عليهم من الأسماء من أروبا. وقد رجع ابن حمادوش الى مؤلفين مسلمين ويونان. ولنذكر من هؤلاء داود الانطاكي صاحب التذكرة الذي قبل ان ما أخذه عنه ابن حمادوش قد بلغ أربعين مادة. وأخذ عن ابن البيطار، كما استعان بابن سينا، ولاسيما كتابه (القانون)الذي طبع في رومة. ويرجح ليكليرك أن ابن حمادوش قد أخذ عن نسخة رومة لأنه وجد نسخة من القانون في الجزائر وأخرى في وهران من هذه الطبعة. ومن جهة أخرى أخذ ابن حمادوش عن علماء اليونان وغيرهم مثل بول وغاليان وديوسكور يدس وغيرهم بطريقة غير مباشرة، أى أنه رجع في ذلك الى مؤلفات المسلمين السابقة له. وأخيرا اعتمد ابن حمادوش على مؤلفين مسلمين أمثال ابن ماسويه والادريسي والسنوسي وزروق والقزويني، ولكننا قد عرفنا أن

أغنى مصدر رجع اليه هو تجربته الشخصية، كما عرفنا أنه كان يعود أيضا الى الكتب الاروبية المترجمة وأنه قد أكثر من الاشارة الى ذلك في رحلته.

وقد اشاد كل من ليكليرك وكولان بأصالة فكر ابن حمادوش وأهميه العمل الذي قام به في (كشف الرموز). فقد قال الاول ان ابن حمادوش لم يستند الى الخرافات في عمله وأن فيه اضافات جديدة في المواد الطبية التي لا علاقة لها بالادوية الاروبية، وأن قرب تأليفه من وقت دخول فرنسا للجزائر هو الذي جعله يقدم على ترجمته لأهمية موضوعه في التعرف على عادات التداوى عند السكان (32) وفي مكان آخر ذكر ليكليرك بأن عمل ابن حمادوش لم يكن مجرد اختصار لعمل غيره لأنه ضمنه أدوية لم تكن معروفة للانطاكي وأمثاله وأنه ذكر فيه أدوية أروبية أصبحت متداولة في الجزائر، ولذلك قال ليكليرك بأن (كشف الرموز) يشكل صفحة هامة في تاريخ الطب، وقال عن مؤلفه انه يعد في نظره من أواخر الممثلين للطب العربي (33). أما كولان فقد أشاد بعصرية تفكير ابن حمادوش لبعده عن التصوف والخرافات. وقال عن (كشف الرموز) بأنه من الكتب التي تركت أثرا عميقا في تقاليد الطب في القطر الجزائري، وانه مرجع للسكان في علاج الامراض الشائعة عندهم (34).

ولعل مصدر الاعجاب ب(كشف الرموز) يعود الى كون ابن حمادوش قد سار فيه على طريقة واضحة. فبعد المدخل أي النقل عن ابن سينا، والترتيب الابجدي، يأخذ في تعريف الدواء ووصفه وأنواع الاسماء الأخرى التي تطلق عليه في مختلف البقاع، وذكر خصائصه وفوائده العامة وفوائده الخاصة، وكيفية

32 ـ ليكليرك (تاريخ الطب العربي) 2 ـ 309 .

33 ـ ليكليرك، ترجمة (كشف الرموز) ص 4 ـ 5 .

34 ـ كولان، ص 35، 39.وهذا ما يؤكد ما ذهبنا اليه من فصل النساخ للباب الرابع من كتابه (الجوهر المكنون) لحاجة الناس الى ما في الباب الرابع من المفردات.

استعماله والكمية الضرورية منه ومشتقاته. ومن جهة أخرى يذكر الأمراض التي يستعمل لها الدواء ويتعرض لها الجسم ويحدد منافع كل نبات أو غيره، فيقول ان كذا صالح لوجع كذا. وكان ابن حمادوش يذكر عبر كل ذلك مقادير كل دواء بالموازين الشائعة عندئذ، ولعل ذلك هو ما حبب الكتاب الى الناس أيضا. وبناء على (كشف الرموز) فان الموازين وما يقابلها بالغرامات هي مايلي (35).

القمحة	وحدة الوزن	0,0488 غرام
القراط	4 قمحات	0,1954 غرام
الدرهم	16 قراط	3,1266 غرام
المثقال	1 درهم و $\frac{1}{2}$	4,6899 غرام
الوقية	12 درهما	37,5192 غرام
الرطل	12 وقية	450,2304 غرام
الدانق	$\frac{1}{6}$ الدر هم	0,5211 غرام
الاسطار	6 دراهم و $\frac{1}{2}$	19,8018 غرام

واذا كان هذا هو شأن الكتاب الرابع من (الجوهر المكنون) فاننا نتوقع أن يكون ابن حمادوش قد بذل جهدا مضاهيا في بقية الاقسام التي لم نطلع عليها منه. ولعل الايام تكشف عن هذا الكتاب لنعرف ما قام به ابن حمادوش في باب الطب، الذي يعتبر بحق من أبرز ممثليه من العرب والمسلمين في القرن الثاني عشر (18م).

35 ـ أنظر جدول طبعة رودوي سنة 1928، وكذلك كولان، ص 42 ، 43.

4 ـ كتابه تعديـــل المـزاج :

ومن الموضوعات الطبية التي عالجها ابن حمـادوش الاعضـاء التناسـلية ووظائفها وأمراضها وعلاجاتها. وقد تناول ذلك في رسالته المسماة (تعديل المزاج بسبب قوانين العلاج) ويظهر من العنـوان أن المؤلف قد عالـج أيضـا المزاج البشـري وأحواله وأسباب علاجه اذا اعتراه تغير طارىء. وقد ألف ابن حمادوش هذه الرسالة في مدينة رشيد بمصر سنة 1161، أي بعد سفره من الجزائر بقليل. وقد وصلت منها الى الجزائر نسختان على الأقل، الاولى اطلع عليها واستفاد منها السيد لوسيان ليكليرك، وهي التي استفدنا منها نحن أيضا نقلا عنه. أما الثانية فتوجد، حسبما علمنا، عند الشيخ المهدي البوعبدلي (36) وقد علمنا أن الرسالة تقع في حجم صغير لا يتجاوز الكراستين.

والموضوع الرئيسي لهذه الرسالة هو،كما سبق، وظائف الاعضاء التناسـلية والاضطرابات التي تصيبها وكيفية علاجها والمحافظة عليها في حالة سليمة. وهذه الاضطرابات نوعان: نوع غير عادى أو خارج عن قدرة الانسان، ونوع عادى مثل تعكر أو توعك القلب والمخ والكبد ويصف ابن حمادوش العلاج للنوع الاول فيذهب الى النصح باستعمال الوسائل التقليدية مثل التمائم والرقـي.كما يصف علاج النوع الثاني وطريقة رده الى حالته العادية التي تؤدي الى تعديل الامزجة المصابة. وهو يصف لذلك أدوية بسيطة ومركبة. ويذكر من جهة أخرى العناصر التي تضعف الاعضاء التناسلية وتلك التي تهيج اللذة لكلا الجنسين.

وقد ذكر ابن حمادوش المصادر التـي استقـى منهـا المعلومـات لموضوعـه. فبالاضافة الى التجربة الشخصية عاد الى كتابات العباثي وابيقراط وغاليان وابن

---

36 ـ أخبرني بذلك بنفسه ووصفه لي بأنه كتيب صغير، وذلك بتاريخ 11 ابريل 1973.

سينا وحنين ابن اسحاق وابن رشد والدميري والقزويني وداود الانطاكي والجاحظ والعطار والبرزلي والشاذلي والبسكري. وقد اعتمد في هذه الرسالة، خلافا لما قام به في (كشف الرموز)، على الأحاديث النبوية، كما أنه أوصى باستعمال بعض الأدوية مثل الكينة. وهكذا نجده في هذه الرسالة متنوع المصادر كما في كتبه الاخرى. وهو يعتمد على كتب الاولين من الجزائريين وغيرهم، كما اعتمد على التجربة والمشاهدة. وقد لاحظ ليكليرك الذي نوه بعقلانية ابن حمادوش في (كشف الرموز)اعتماده على الخرافة في (تعديل المزاج) مثل نصحه باستعمال التمائم والرقى.

غير أن قيمة هذه الرسالة تظل ثمينة في موضوعها وعصرها، لأنها من جهة رسالة متخصصة،ولأنها من جهة أخرى متأخرة زمنيا بالنسبة لكتب الطب العربي الأخرى (37).

5 ـ كتاباه في المنطق والتوحيد :

وبالاضافة الى العلوم الرياضية والطبية اهتم ابن حمادوش بعلمي المنطق والتوحيد.ونجد في آثاره أنه أكثر من قراءة كتب المنطق مثل كتب الخبيصي وايساغوجي والسمرقندى والسنوسي. وكان مختصر السنوسي في المنطق متداولا بين العلماء يتدارسونه ويعلقون عليه، كل حسب امكانياته. ولم يسلم ابن حمادوش من مرض العصر وهو المشاركة في شرح أعمال المتقدمين والاضافة اليها من معارفه الخاصة. فقد كان علماء عصره أيضا منكبين على أعمال من سبقوهم يشرحونها ويحشون عليها أو يختصرونها أو نحو ذلك من المعالجات التي ليست ابداعية أو

37 ـ عالج ليكليرك (تعديل المزاج) في مصدرين الاول في الجزء الثاني من كتابه (تاريخ الطب العربي) 308 ـ 310 والمصدر الثاني في آخر،ترجمته لـ (كشف الرموز) 380.

شخصية وانما هي تقليدية اجترارية. وفي هذا الصدد نجد له شرحا على مختصر السنوسي في المنطق وشرحا آخر على العقيدة الكبرى للسنوسي أيضا وشرحا ثالثا على ألفية ابن مالك، وهكذا.

ونود أن نشير باختصار الى شرحيه الأول والثاني حسبما لدينا من معلومات عنهما. بدأ ابن حمادوش يهتم بمختصر السنوسي في المنطق منذ كان في المغرب (.ان لم يكن قبل ذلك) أثناء زيارته الثانية. فقد أشار الى أنه درسه على استاذيه المشهورين محمد البناني في تطوان وأحمد بن المبارك في فاس. ويبدو أن الأخير كان مجيدا في هذا الفن، لأن ابن حمادوش لم يخف اعجابه به وأطال في وصف عارضته في علم المنطق على العموم ومختصر السنوسي على الخصوص. وضع ابن حمادوش شرحه المذكور أثناء وجوده في المغرب ودرس المختصر وشرحه عليه على ابن المبارك. وقد صحح له شيخه ما شاء من الشرح والأصل. وقال ابن حمادوش عن شرحه ((انفقت فيه الجد وسميته الدرر على المختصر)). وأخبر أيضا أن شيخه قد سر بهذا العمل.

وبعد عودته الى الجزائر شرع في استخراج شرحه وتنقيحه ووصفه بأنه ((شرح عجيب)).ومن حسن حظه أن أحد تلاميذ ابن المبارك، وهو الشيخ احمد الورززى، قد جاء الى الجزائر زائرا بعد سنتين من عودة ابن حمادوش اليها. وأقام الورززى في مدرسة الجامع الكبير بالعاصمة التي كانت معدة لسكنى غرباء العلماء. فاغتنم ابن حمادوش هذه الفرصة وأخذ يتردد على الورززى (الذي كان يعرفه من قبل) ثلاث مرات في اليوم مقسمة بين طلوع الشمس الى المغرب. وكان الهدف هو تصحيح شرحه على مختصر السنوسي في المنطق بعد استخراجه وتنقيحه. وكان يعرف أن الورززى متمكن من علوم شتى، ولاسيما علم المنطق حيث قال عنه أنه ((محقق في الفنون، وخصوصا المنطق من اخواننا تلامذة ابن المبارك)) وظل ابن حمادوش كذلك الى أن ختمه عليه وصححه وأجازه الشيخ.

والطريقة التي اتبعها ابن حمادوش في ذلك هي أنه قرأه على الشيخ ((قراءة بحث وتفتيش فما قبله (الورززى) مما كان منصوصا قبله للمتقدمين أو من كلام شيخنا ابن المبارك أثبته، وما لم يقبله حذفته حتى خرج كما ينبغي)) ومعنى هذا أن الورززى قد ضيق على ابن حمادوش في شرحه فلم يسمح له بالآراء والاحكام الشخصية أو المعزوة الى المعاصرين أو المحدثين، وانما حصره في نصوص الاقدمين واضافات ابن المبارك الذي هو شيخهما معا.ويؤكد هذا كلام الورززى نفسه. فعند الانتهاء من قراءة التصحيح كتب الورززى شهادته على الورقة الاولى من شرح ابن حمادوش وقد جاء في هذه الشهادة أن ابن حمادوش قد سرد عليه كتابه ((على وجه المذاكرة لعل أن نجد فيه ما يحتاج للاصلاح أو التكميل فأصلحنا المواضع التي تحتاج الى الاصلاح ... ونرجو... أن يكون كله أو جله صوابا. وان وقع فيه خطأ فيكون معدودا محصورا، وهو ان شاء الله يصلح للاقراء والمذاكرة)).

وقد شهد لابن حمادوش عدد من علماء الجزائر على شهادة الورززى من كون (الدرر على المختصر) صالح للاقراء والمذاكرة ، ولكن بعضهم قد حسده على ذلك وأبى الشهادة له.ومن الذين كتبوا له شهادة بذلك صديقه أحمد بن عمار الذى سبقت اليه الاشارة. ونفهم من شهادة ابن عمار أن الدرر قد جمع نقولا من المتقدمين وأنه أوضح كثيرا من معاني مختصر السنوسي وأن صاحبه قد أحكم ألفاظه ومعانيه، وأنه وان صغر حجمه فقد غزر علمه وفائدته ((ناهيك به مؤلفا جموعا، مبذولا خيره لا ممنوعا، قد أحكم فيه الرصف والالتئام، واستخدم لطائف المعاني في بديع الكلام، حتى أفض عن المختصر الختام... هذا ولا عيب فيه غير أنه كتاب صغر حجما وغزر علما، وقد أودع فيه من لطائف المعاني العجيبة الرائقة، والالفاظ البديعة الفائقة ماهز به أعطاف الآداب، واستمال به قلوب أولى الالباب ...)) ويقع كتاب الدرر في 79 (تسعة وسبعين) ورقة من حجم الرباعي.

ورغم هذه الاوصاف من المقرظين واعجاب مؤلفه به فاننا نعتقد أن ابن

حمادوش لم يأت بجديد في شرحه المذكور، ولعل تأليفه هذا يبرهن فقط على اهتمامه بهذا العلم الذي يعد من العلوم العقلية واشتغاله عليه عدة سنوات (حوالي أربع سنوات) قراءة وتأليفا وتنقيحا وتصحيحا. ولعل له تعاليق وتآليف أخرى في هذا العلم لا نعرف عنها الآن شيئا.

ويتصل بعلم المنطق تأليفه الآخر في التوحيد الذي سماه (مباحث الذكرى في شرح العقيدة الكبرى).ومن الواضح أن هذا الكتاب هو أيضا شرح على عمل آخر لمحمد بن يوسف السنوسي، وهو العقيدة الكبرى. والمعروف أن عقائد السنوسي (الصغرى والوسطى والكبرى) قد تناولها الشراح قبل ابن حمادوش وحظيت الصغرى بالخصوص باهتمام العلماء، لأنها تقدم مبادىء علم التوحيد الى الشادين فيه أما العقيدة الكبرى فشراحها قليلون ولا يتقدم لشرحها الا المتمكن من العلماء ومن هؤلاء ابن حمادوش.

وقد أخبر أن طريقته في هذا الشرح هي مزج ألفاظ العقيدة بألفاظ شرحه عليها ((مزجت به (أي الشرح) ألفاظها واستخرج به نضارها ...)) وأخبر أيضا أنه اشتمل على خمسة وستين مبحثا. وبعد أن خصص المبحث الأول للتعريف بالسنوسي، قسم الكتاب على بقية المباحث. وقد ملأه أيضا بنقول الاقدمين كما هي عادة مؤلفي عصره حتى جاء الكتاب في حوالى تسع عشرة كراسه. واذا كان في كتابه (الدرر) قد صحح وقابل معارفه بمعارف ابن المبارك والورززى فانه في كتابه المباحث قد قابل عمله بعمل الشيخ أحمد بن يعقوب السوسي الذي شرح به أيضا عقيدة السنوسي المذكورة (38).

38 ـ أحمد بن يعقوب من أهل القرن الحادي عشر أنظر أحمد المختار السوسي (سوس العالمة). 124.

القسم الثالث

نصوص منه وعنه

1 ـ المقامة الهركلية

2 ـ قصيدته في الحنين الى أهله وهو في تطوان

3 ـ شهادة أحمد بن عمار له على كتابه (الدرر على المختصر) في المنطق

4 ـ عادات أهل الجزائر ليلة القدر

5 ـ من عادات أهل فاس

6 ـ تعزية المفتى محمد بن حسين له في وفاة ولده

7 ـ اجازة محمد البناني له

المقامة الهركلية :

وفي يوم الأحد (في مكناس ، شهر صفر سنة 1156الموافق أبريل 1743)ألفت المقامة الهركلية، وهي:

الحمد لله حدى (كذا) بي حادى الرحلة، الى أن دخلت في بعض أسفارى هركلة، ودخلت بها في خان، كأنه من أبيات النيران، أو كنائس الرهبان، بل لاشك أنه من أبيات العصيان.فلذلك لا يسر به الناظر، ولا ينشرح له الخاطر، فاختصصت منه بحجره، فكأنها نقرة في حجره، وكأني وقعت من السماء في حفرة، أو اتبعت أفعوان (كذا) فدخلت جحره، فغلقت بابي لأحفظ صبابي، وأمن جنابي، من شدة أتعابي. وكذلك كل من أصحابي، حتى مد الليل جناحه، وأوقد السماء مصباحه، وهدأت الأصوات وصرنا كالاموات، وتوغلت في حبائل النوم، ولم أدر ما هناك من القوم، فلم يوقظني الا جلبة الاصوات، وتداعي القينات، والتدافع بمنع وهات، وبعض هاد وبعض عات.

واذا بجارى بيت بيت، يحاسب قينه على كبت وكبت، وهي تقول له فعلت كذا كذا فعله، وتدفع أجر فعله، فوالذى سهل علي السفاح، ونصبني لكل من أراد النكاح، لا برحت الى الصباح، على وجه وقاح، وتدفع المهر بلا سماح.

فقلت بعدا لهذا الجار، ولاشك أنه بئس القرار، ولبئس الخان، كأنه حان، وفيه يقال صاحبه قرنان، ولا ينطلق اللسان، فهذا العنوان فانه من السب العام، ويبلغ به الكرام.

ثم رجعت الى هجعتي ، وتجاوزت عن وجعتي، وأيقنت أن ليس هناك نجعتي، ولكن لا أعود في رجعتي، ولم أدر من ذاك المجاور لبيتي، ولاما وقع في تلك اللتيا والتي.

فلما ظهر لواء الترك العجم، على جيش النجاشي أعجم (كذا) شددت الرحال، وتهيأ ت للترحال، وأمتطيت مطيتي، وأخذت في طيتي، متوكلا على الرحمن، أن أبلغ المأمن بالأمان.وقلت في ذلك:

وليلة هركلم تحاكي المبيت ببيت الشمط
فان لم تكن محنة فلا تدخلنها ولا تحتبط
فلست ترى سمحة بزي ولا امرأة تمتشط
كأن بها سعلة تمس الغريب اذا ما خلط
وفيها سمعت الخنا بأذني وفيها رأيت الشطط
كأنها مزبلة يعم بها الجن من قد هبط
فكن حذرن (كذاً) قربها ولا تقتدرها اذا في نمط

قصيدته في الحنين الى أهله وهو في تطوان

لقد كنت قبل اليوم أصبر صابـــــــــــــر ... وها أنا في هـذا الأوان ذلـيـــــــــــــل
أنوح على بعد الديار صبابـــــــــــــة ... نواح الثكالى تحسبوني (جميـــــــــــل)
(بثينة) عندي واتي جارهـــــــــــــا ... وفارقتها كرها فاني عليـــــــــــــل
وقد أدرك العبد الخميل ديـــــــــــــاره ... على شطط فما اليه سبيـــــــــــــل
فلو كان لي طير يطير بيغيـــــــــــــتي ... الى دار (زهرا)(39)بالكتاب يديـــــــــــــل
لطوقته طوق الامان فيخبـــــــــــــرن ... بأني على بعد الديار نحيـــــــــــــل
ولكن لم تدر الطيور بـأنـــــــــــــني ... بكيت الدما قهرا ولي عويـــــــــــــل
أسرب القطاهل من يعير جنـاحـــــــــــــه ... لعلي الى من قد هويت أزيـــــــــــــل(40)
أتابع قلبي في الضلالـة سائمـــــــــــــا ... ولي في مذاهيب المحبة قيـــــــــــــل
عدمت الوفا والصبر مني والـهـــــــــــــدى ... وها أنا في بحر الهواء ضليـــــــــــــل

أيا مركبا (41)فرقت بيني وبينهـــــــــــــا ... يفيض عليك الماء حيث تقيـــــــــــــل
يهال عليك البحر ان كنت ماخـــــــــــــرا ... وتعدمك الاهلون حيث تميـــــــــــــل
أقول لملاح المراكب قـولـــــــــــــه ... يقولها جبل خلفنا ثم جيـــــــــــــل
ألا أيايا الملاح خبت في سعيكـــــــــــــم ... تفرقون الاحباب دنتم ميـــــــــــــل
ذنوبكم جم ودينكم هـــــــــــــزول ... وهذا عليكم في القيام ثقيـــــــــــــل
فما قولكم يوم الجزاء وانكـــــــــــــم ... ستلقون رب الناس أني حميـــــــــــــل
حشى من يرى غزوا فانه فـاضـــــــــــــل ... ملوك على الأعواد جاء دليـــــــــــــل
قد فتم بي حيث البرابر حجـــــــــــــة(42) ... فكنت أرى حقبا وهذا طويـــــــــــــل

---

39 ـ هو اسم زوجة الثانية، وهي التي أشار اليها أيضا باسم (بثينة).

40 ـ تضمين لبيت عباس بن الأحنف الشهير في الشواهد النحوية:

أسرب القطا هل من يعير جناحه ... لعلي الى من قد هويت أطير

وينسب البيت أيضا لمجنون ليلى.

41 ـ اشارة الى السفينة التي كانت ستحمله الى الجزائر والتي تحطمت في مرسى تطوان.

42 ـ يقصد أنه ظل في المغرب سنة ولكنها كانت تبدو قرنا لطول ما عاناه فيها. وخصوصا تعرض (البرابر) له وهو يعني بهم الاعراب وقطاع الطرقات عموما.

(أزهر) الرياض من يرى العيد دونكـــــم عميد وحق الود دمعي همـيـــــــــل
شربت كؤوس الذل بعد بعادكـــــــــم وما أنا بالراح الكميـت تميـــــــل
لبست ثياب الحزن بعد فراقكـــــــــم فها أنا في سجن البعاد مقيـــــــل
سألت الخطاطيف الوفود لسجنتـــــــا أنالت من الربع المشيد نيـــــــل
وهل طرقت قصرا به سكن المنـــــــى فأبصرت البدر المنير يهيـــــــل
أيا جارتي الخطاف بثي فـانـــــــني على بعدها من ذي السنين كحيـــــل
وفوزي باجرى تظفرين بصيلـــــــتي وقولي رأيت (الزهر) حقا سليـــــل
بكت بعدك العام الطويل كأنهـــــــا على بعدكم علوى، فصبرٌ جميـــــل
كأنها علوى في السجون وفي اليكـــــا وما لقيت علوى عليها قليـــــــل
أصابها سهم من نواك مـحـــــــدد أراها على قرب فهي قتيـــــــل
اراشه من ريش الكلا والـقـــــــوادم وريش الخوافي والسوابـــــــق قيل
فألقاها صرعى في الرغام كأنهـــــــا على ضعفها فرخ الحمام جديـــــل(43)

43 ـ في هذه القصيدة روح شعرية طيبة ولكن وسائل ابن حمادوش وأدواته الشعرية ضعيفة. ولم تصحح هنا ما جاء فيها من كسور واختلال. وحسبنا التنبيه على ذلك.

تقريظ أحمد بن عمار لكتابه (الدرر على المختصر

وكنت أجتمع معه (يعني أحمد الورززى المغربي) اما في بيته في مدرسة الجامع الكبير واما بالجامع الكبير، وأكثر الطلبة (44) حاضرون شاهدون زاعمين، من حسدهم، ما يسرهم (45) فلما ظهر ما يسؤوهم امتنعوا من الشهادة على خطه، حتى انتدب منهم من خصه الله بالتوفيق وغسل قلبه من الحقد بالتحقيق منهم الأديب الاريب، ذو القلب الناطق والقول الصادق (46) فقال محوقا (47) على قول الشيخ:

الحمد لله، معلى علم العلم ورافعه، ومولى متوالى أفضاله ومتتابعه، والصلاة والسلام الاتمان الاكملان على سيدنا ومولانا محمد المحمود في الأرض والسما، ذى الرسم الجميل والاسم الجليل والاسما، النبي الأمين الرسول العلي، مشفع (48) المحشر دون سائر الرسل والانبياء وشافعه، وعلى آله وأصحابه وأشياعه وأنصاره الجادين في نصرة ملته الحنفية، الشادين ايديا على سنته السنية، الهادين الى مصادق مقاصده العلية ومنازعه (49)

أما بعد حمد الله الكافي من استكفاه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سر الوجود ومعناه، وعلى آله وأصحابه اولى الفضل والجاه، فيقول العبد الفقير الى

---

44 ـ المقصود بهم علماء الجزائر عموما.

45 ـ كانوا يعتقدون أن الشيخ الورززى سيرفض الموافقة على كتاب المؤلف.

46 ـ هو أحمد بن عمار الآتي ذكره.

47 ـ كذا، وتعني مصدقا.

48 ـ في هامش الاصل أضيفت كلمة (شفيع) بدل (مشفع).

49 ـ امتاز أسلوب أحمد بن عمار بالجودة اللفظية والعناية بالمحسنات البديعية ومنها ما يعرف بالسجع المركب.

عفو مولاه الغني القدير، أحمد بن عمار (50) بوأه الله دار القرار، وأدرجه في سلك المصطفين الاخيار، لما جمعتنا المقادير، مع شيخنا الاستاذ النحرير، حبر صاغة الآداب، وقطب ذوى الفصاحة والبلاغة الأقطاب، سيدى أحمد بن محمد الورززى، عالم قطر المغرب قاطبة ومدرسه، وباني ركن العلم ومؤسسه، ببلدتنا الجزائر المحروسة بعين الملك القادر أواخر رمضان سنة تسع وخمسين ومائة وألف، من هجرة من له العز والشرف. كنت اختلف اليه مرة بعد أخرى فأجد محينا الأديب والحبر الأريب سيدى عبدالرزاق بن حمادوش يقرأ عليه كتابه الدرر الذى جمعه على المختصر. فأصلح فيه الشيخ المذكور بقدر الاستطاعة ما يحتاج للاصلاح، وأوضح غاية ما يحتاج للايضاح، كما ذكر ذلك، قدس سره بخطه أعلاه، دام عزه وعلاه، وأنا أقول بعون الملك الخلاق، وان كنت ممن جرى (51) في حلبة هذا السباق، بيد أنه لما وكل ذلك الي، ووقف ارادته علي، أجبته على وفق ما اقترح، بحسب ما به القلم بادى الرأى سمح، فيعلم الله أني لم أفعل ذلك، الا ما وجب على مسلم سيم تلك المسالك، ناهيك به مؤلفا جموعا، مبذولا خيره لا ممنوعا، قد احكم فيه الرصف والالتئام، واستخدم لطائف المعاني في بديع الكلام، حتى افضى عن المختصر الختام، وكشف عن وجوه خرائده اللثام، ووضع كنوز فرائده على طرف الثمام، فأصبح به اذ ذاك في أعلا الذرى، وطلع في سماء المعالي والمكارم بدرا.

هذا ولا عيب فيه غير أنه كتاب صغر جرما، وغزر علما، قد أودع فيه من لطائف المعاني العجيبة الرائقة، والالفاظ البديعة الفائقة، ما هز به أعطاف

---

50 ـ كان أحمد بن عمار من جبل المؤلف ولا يدرى متى ولد ولكنه كان حيا سنة 1205 وقد تولى الفتوى المالكية في الجزائر وحج سنة 1166 وجاور الحرمين وعاش في تونس والقاهرة، وله تآليف عديدة منها (لواء النصر) المفقود في تراجم علماء القرن الحادى عشر والثاني عشر الهجريين، وله أيضا رحلة حجازية سماها (نحلة اللبيب) طبعت منها قطعة في أوائل هذا القرن. وقد ترجمنا له في كتابنا (تاريخ الجزائر الثقافي).

51 ـ كذا، والمعنى يقتضى أن يقول :((وان كنت ممن لم يجر الخ)).

الاداب، واستمال قلوب أولى الالباب. لأن جنى (52) نور حديقة العلم زاهي يانعا، وجلا نور حدقتيه زاهرا ساطعا. فجزاه الله خيرا عن هذا الجمع البديع. ووفقنا واياه للعمل الصالح وحسن الصنيع،انه مانح التوفيق. والهادي الى سواء الطريق.

هنيئا هنيئا أيـا مختصـــــــــــــــر ... يشرح بديع جموع أغـــــــــــــــر
ويشرى لقارئك المـرتـعـــــــــــى ... بمـا قـد حـواه كتـاب الدرر
فسوف ينيله كـل المـــــــــــنى ... ويحظى سريعا بنـيـل الوطـــــــــــر
فأعجب به بارعا جامعـــــــــــا ... وطاول به ثم صل وافتخـــــــــــر
وأزكى الصلاة وأبهى الســـــــــلام ... على المصطفى المجتبي من مضـــــــــر
وآل كرام وصحب عـظـــــــــام ... بطول الدواء كقطر المطـــــــــر

عادة أهل الجزائر ليلة القدر :

وعادة متولي الجامع الكبير (ليلة القدر) يفرغ قنطار (كذا) أو أكثر من شمع يفرقه على ثلاثين شمعة خضر من بين الثلاثة أرطال الى أربعة في كل واحدة. ويأتون بهم الى دار المفتي أو الوكيل، أيهم يحب الظهور، فاذا صلى العصر أخرج ذلك المؤذنون أو غيرهم في أيديهم ويطوفوا (كذا) بهم البلاد وأقله الى دار الامارة، ويرجعون من طريق أخرى، واحد الموقتين ينشد بين أيديهم ويرفعون أصواتهم بالصلاة والسلام على النبي حتى اذا دخلوا المسجد وزنوا ذلك وركبوهم في الحسك من عود أو غيره معدين لذلك، واشعلوهم مع ما يكثرون من قناديل القوارير ويحيون الليل كله الى الفجر. فاذا قرب الفجر أو تروا وقرأوا ما تيسر من الفواتح ثم أعلموا الناس بالفجر، فاذا ركع الناس الفجر صلوا بغلس. فاذا فرغوا

52 ـ كذا، ضبطها ـ بكسرة تحت اللام وفتحة على الألف والجيم والنون ـ والمعنى يقتضي (لأنه) بدل (لأن جنى).

من التسبيح واخويه المعدين بعد الصلوات قرأوا حزب الصبح وما يتبع ذلك. فاذا فرغوا أتى موقد القناديل بأحد تلك الشمع أو غير ذلك الى المحراب، وكان الامام فيه دخل هو وخواصه قبل صلاة الصبح مجتمعين في المحراب، فيفتح كتابه ويقرأ من باب ((ونضع الموازين القسط ليوم القيامة)) الى آخر الختم، وهو كلمتان حبيبتان الى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم،فيعيدون هذا التسبيح مائة مرة. وفي هذه المدة يرشون ماء الورد حتى يعم الناس فيها. ثم يسكتون ويشرع الامام في الدعاء المعد لذلك. وقد تقدم في الجزء الاول ، وهو الحمد لله حمد معترف بذنبه، الخ ... فيقرأون من الفواتح ماتيسر، كلها برفع اليدين. ثم ينصرفون..

وهذه عادة الجزائر دائما. فيذهب الناس الى خارج باب الواد قبر سيدي عبدالرحمان الثعالبي، نفعنا الله ببركاته، فيحضرون ختم البخارى أيضا على هذه الصفة، ويتهيأون الى العيد. وأنا حضرت وفي الموضعين مع عامة المسلمين.

من عادات أهل المغرب (خاصة فاس) :

ثم أن البلاد فرحت كلها وأزينت يوم الخميس الا أن زينتهم بثياب ملبوس النساء يعلقون القفاطين والمحارم وغيرها من خروم حرير وما تيسر، بخلاف زينة بلادنا.

ومن غريب ما رأيت فيها (فاس) اللوح الداخل قبة مولاى ادريس وكذا ألواح قبيها كلها. ومن غريبها قسمة مياهها حتى تعم البلاد كلها من بساتين وغير وغيرها.

من أقبح ما في المغرب كله حماماتهم ويبدون عوراتهم فيها. ومنها نحو ربع البلد جنات معروشات. وصنعنا متر في جنة منها أصل مساحته أربعمائة دار. وفيها ثلاثة جداول ماء أحدها كبير أقمنا فيه سبعة أيام بسبع شياه. ومنها أن الزرزور ساكن فيها في أوكانه كالبرطال ببيض بيضا رقيقا طويلا بين الزرقة والخضرة زنجاري. وكذا في مكناس. وصومعها مسكونة بالشقشاق المسمى عندنا البلارج يبيض ويفرخ. وأن طير ابابيل فيها بخلاف تطاون فانهم لا يعرفونه.

ومنها عادتهم يأكلون في يوم العنصرة هشيش ذناب الضأن بالقرفة والكسكسي. وهذا أكل غالب أهل فاس. أما البراني فلا أدرى.

ومنها أن رجالها لا يتعممون الا القليل، وأن نساءها لهم عمائم كبار، اما من حرير فثمانية عشر ذراعا بذراع بني آدم المعروف في الاسواق، وأكثره اما أبيض او نصفه زبيبي ونصفه عكرى، أو يتعممون بالشاش الهندي. أو بالشقة الجيدة المصرى. وبهذا كان يمازح شيخنا سيدى محمد بن ميمون، يقول: أين منعت التيجان الذكران وبرزت ربات الحجال بعمائم الرجال، يأتي به في باب العدد، ويقول وذلك كأهل فاس.

اجازة البنـــاني له :

والذي كتب (يعنى محمد البناني) لي في اجازتي ما صورته: الحمد لله الذي شيد بصحيح الاسناد منار الاسلام، ورفع دعائمه على كواهل صدور أيمته الاعلام والصلاة والسلام على خير من أجاز السائل بأفضل مما رام، وعلى آله وأصحابه السادات الكرام.

وبعد فان الفقيه الاجل، العلامة الافضل، المدرس الاحفل، الشريف الامثل، السيد عبدالرزاق الجزائرى المالكي المذكور أعلاه (53) قد تردد الي في

طلب العلم الشريف، وحضر لدى في غير ما درس للعلم المنيف، حضور استفادة وتحصيل، جادا في الطلب بأيما تأصيل، رافضا للشواغل الصادة ومجانبا للامور المضادة، فألفيته، رعاه الله، قد لمع برق نجابته، وقارب الكمال العرفي بدر درايته، واشتد في غالب الفنون المتداولة في الوقت ساعده، وتأهل لأن يؤخذ عنه مما يحاوله من العلوم فوائده، ولعمري لهو أهل لذلك، وسالك في تأهله له أحسن المسالك، فطلب من هذا العبد الضعيف تقييد الاجازة له فيما سمعه وغيره ليكون ذخرا لديه، واعلاما بحاله المتين لمن لم يكن له اطلاع عليه، فأجبته الى ذلك جبرا لخاطره ورعيا لما عسى أن يكون له فيه من النفع الحاضر، والا فمتى كان هشام حتى يكون له مد، وحيث تحتم علي الجواب، ولم يكن بد من اسعافه في هذا الطلاب، قلت مكرها لا بطلا، ومنكسا رأسي خجلا، لأنه قد استسمن ذا ورم، ونفخ في غير ضرم، أين لمثلي أن يلج هذا المضمار ولا أن يقف موقف الأبرار؟

ثم قلت أجزت الفقيه المذكور جميع ما يجوز لي وعني روايته من مقروء ومسموع ومجاز كل ذلك بشرطه عند أهله ، وأذنت له أن يحدث عني بكل ما سمعه مني أو بلغه عني من مؤلفا ت ومتناولات كشرحنا على كتاب الاكتفا للامام الكلاعي (54) المسمي بمغاني الوفاء بمعاني الاكتفاء المضمن في ستة أسفار كبار، وشرحنا على اللامية الزقاقية (55) في الفقه، وشرحنا على الحزب

---

53 ـ لعله يقصد المذكور في توقيع القصيدة التي استجازه المؤلف بها.

54 ـ هو سليمان بن موسى الاندلسي. وقد كان أديبا ومحدثا. وله كتب في السيرة النبوية والتاريخ..توفي سنة 634. الاعلام 3 ـ 199.

55 ـ نسبة الى علي بن قاسم الزقاق المتوفى سنة 912 وهو من فقهاء المالكية. وتبلغ أرجوزته اللامية في ذلك 257، ومن شراحها أيضا الشيخ محمد ميارة الآتي ذكره.

الكبير لقطب الورى سيدى أبي الحسن الشاذلي (56) رضي الله عنه ونفعنا به، وشرحنا على الصلاة لمولانا القطب الاشهر مولانا عبدالسلام بن مشيش (57) نفعنا الله به، وغير ذلك مما جمعته أو نظمته، اجازة تامة مطلقة عامة. وأسأله أن لا ينساني من صالح دعائه وأوصيه ونفسي بتقوى الله ومراقبته في السر والعلانية، وهو، سبحانه وتعلى، يلهمنا رشدنا ويتولى هدايتنا، وهو حسبي ونعم الوكيل. وصلى الله على مولانا محمد خير الخلائق اجمعين، صلاة وسلاما دائمين الى يوم الدين

قاله وكتبه محمد بن عبدالسلام البناني، غفر الله له . أواخر المحرم الحرام فاتح و ـ ن ـ ق ـ ش (58) ـ يعني 1156 .

تعزية المفتى محمد بن حسين له على ولده :

ولقد أحسن بعض الاخوان وأجاد في مراسلة عزاني بها على الصبر، جزاه الله خيرا وكان سبب المكاتبه، ولم يشافهني باللسان، أنه لم يسمع قبل الدفن فلم يحضر الدفن وفاته، فاستحي وكتب ما صورته.

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم. الى الجناب الكريم العالي، جامع أصناف المعالي، الذي انتهت به أماني الوداد، ومحبه الاخوة وحسن الصداقة والاعتقاد، مولانا الفاضل الكامل السيد الحسني سيدى الحاج عبدالرزاق، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته. واليه، فقد بلغنا ما أحار الاذهان وأشجاها، وأطار النوم من الاجفان وأبكاها، واضرم

56 ـ وهو مؤسس الطريقة الصوفية المعروفة بالشاذلية، وقد ولد في المغرب وعاش في تونس، وتوفي في مصر.
57 ـ من تلاميذ ابي الحسن الشاذلي وشراحه أيضا، وله دعاء في التصوف معروف بالصلاة المشيشية.
58 ـ كذا بحروف الغبار التي تعنى 1156.

لواعج الاشواق، وأذكى زواعج الاحتراق، بالذى صدع أعشار القلوب وأفاض على صحن الخد الدموع من الغروب ، فانثنا (كذا) (59) بذلك مشاركة فيما لان أو خشن، والمظاهرة فيما قبح موقعه في النفوس أو حسن، من المساهمة فيما ساء أو سر والمقاسمة فيما يتحاول (كذا)(60) من حلو ومر. فأيقظ قلوبا كانت من الغفلة في سنة، ودعا الى ما يقرب من رضاه تعالى ورحماه بما احتوى عليه من الموعظة الحسنة، وندب الى توخي جميل الصبر الذي اليه مصير كل تكلان (61) ومفزع كل ذى جزع لهفان.

ولقد كانت نفسي غريقة في أبحر حزنها، والعين بحكم الرقة البشرية جائدة بواكف مزنها، حتى أدركتني محنتك وموت ولدك فأخدتني الصدمة وهيجت لي المحنة (62) فلقد رمانا الدهر بسهام صروفه فأصمانا، وتعهدنا خطبه فهد عروشا وأركانا. فاصبر صبر الاجواد، انما صبر الكريم على الرزية أجمل. والله تعالى يلهمنا وأياكم الصبر، ويعظم لكم الأجر، ويريحكم من الفزع، ويزيح عنكم هول الجزع، فان الصبر لابد منه، ولا محيد عنه، غير أن الثواب لمن قدمه، ومن فاته فقد عدمه، فاسلم نفسي وأخي فيما نزل بسيد المرسلين، فهو أولى بأن أفجع عليه من الآباء والبنين. وها نحن على جناح السفر، فهيهات أن تنفلت وأن يحصل لنا منه الظفر. وقد ندب الله تعالى خاصة خلقه اليه فقال جل من قائل: واصبر وما صبرك الا بالله،وقال : انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب، وقال سبحانه : فاصبر صبرا جميلا. ومثلكم يهذا أجدر، وأعلم وأشهر، وما هو الا ريحانة الجنان، وشفيع في الابوين عند الرحمن، جعله الله من الذرية الحسنة والنطفة الطيبة وتقبله الله وجعله ذخيرة وذخرا يشفع وينفع، كما ورد بذلك في الصحيحين، كما لا

---

59 ـ كلمة (كذا) موجودة في الاصل، أضافها المؤلف حفاظا على النص رغم أن العبارة غير مفهومة.

60 ـ (كذا) هذه أيضا موجودة في الاصل .

61 ـ كذا في الأصل.

62 ـ يبدو أن المعزى كان أيضا حديث عهد بفقدان أعزائه.

يخفاكم. وعن قريب قد مر على مسمعكم الشريف ما هو في الصحيح ، قال سليكم: فانا لله وانا اليه راجعون، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم من نزول هذا الخطب الفاضح (كذا)(63) الجسيم.فهذه التسلية والتعزية من العبد الفقير الضعيف الى مولاه الغني اللطيف، محمد بن حسين، المفتى كان (64)، رحمه الله، آمين.

63 ـ كلمة (كذا) مذكورة في الاصل ، وهي من تنبيهات المؤلف.

64 ـ تولى الفتوى الحنفية مدة قصيرة سنة 1101، ولعله تولاها أيضا في غير مدينة الجزائر لأن تاريخ التوليه وتاريخ التعزية بعيدان وغير متناسبين مع سنه.

بعض المصـــادر

عدنا في دراستنا لحياة ابن حمادوش وأعماله وعصره الى مصادر عديدة. وليس من المناسب اثبات كل ذلك هنا. وسيجد القارىء معظم هاتيك المصادر في تحقيقنا للجزء الثاني من رحلة ابن حمادوش، الذي نتمنى أن نفرغ منه قريبا. ونود أن نشير الى أن المهتم بحياة ابن حمادوش عليه أن ينشدها في كتب المعاصرين له، كما أن بعض المراجع العامة قد أشارت اليه باختصار مثل بروكلمان وابن سودة في دليل مؤرخ المغرب. ولكن مصادره، مع ذلك، ما تزال قليلة. ولعل في مكتبات مدينة رشيد والاسكندرية بمصر أخبارا هامة عنه .

أحمد بن عمار (نحلة اللبيب في أخبار الرحلة الى الحبيب) الجزائر 1904.

احمد بن محمد الهوارى (دليل الحج والسياحة) الرباط ، 1935.

جواخيم غونزاليز (مشاهير مسلمي مدينة الجزائر) الجزائر 1886.

الحاج الصادق المولد النبوى عند ابن عمار مفتى مدينة الجزائر وشاعرها، من (الابحاث المقدمة الى لويس ماسينيون) دمشق 1957.

عبدالرحمن الحنبلي العليمى (الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل) مخطوط المكتبة الملكية، الرباط رقم 4217.

عبدالرزاق بن حمادوش الجزء الثاني من رحلته (لسان المقال) مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم ك 463.

عبدالرزاق بن حمادوش (كشف الرموز في بيان الاعشاب) ط 3 الجزائر 1928.

ابن العبرى (تاريخ مختصر الدول) بيروت 1890 .

عبدالمالك التوزرى (ابن الكردبوس) (كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء)منه عدة نسخ مخطوطة.منها نسخة الخزانة العامة بالرباط رقم ك 2358.

ابن علي الشريف (معالم الاستبصار) مخطوط مصور خاص.
غبريال كولان (الطبيب العربي عبدالرزاق الجزائري) الجزائر 1905.
ابوالقاسم الحفناوي (تعريف الخلف برجال السلف) ج 2 الجزائر 1907.
أبو القاسم سعدالله (أبحاث وآ راء في تاريخ الجزائر) الجزائر 1978.خصوصا الابحاث الآتية:

1 ـ ابن حمادوش ورحلته.
2 ـ قصيدة ابن ميمون
3 ـ الرحلات الجزائرية الحجازية.

أبو القاسم سعدالله (أشعار ومقامات ابن حمادوش الجزائـري) (الثقافـة) 49 فبراير 1979.
لوسيان ليكليرك (تاريخ الطب العربي) ج 2 باريس 1876.
لوسيان ليكليرك ترجمة (كشف الرموز) الى الفرنسية ، باريس ، 1874.
محمد داود (تاريخ تطوان)
خصوصا القسم الاول المجلد 3 تطوان 1962.
وكذلك القسم الثاني المجلد 2 تطوان 1963.
محمد بن ميمون (التحفة المرضية في الدولة البكداشية)، تحقيق محمـد بن عبدالكريم،الجزائر 1972.
ابن المفتي تقييدات عن علماء وباشوات الجزائر، نشر بعضها ديفوكس (المجلة الافريقية) 1869 الخ. ودى لفـان في (المجلـة الاسيوية) 1922ونورالدين عبدالقادر (صفحات من تاريخ مدينة الجزائر) الجزائر 1964.
المكتبة الوطنية الفرنسية، مخطوط رقم 2568.

نور الدين عبدالقادر (صفحات من تاريخ مدينة الجزائر) الجزائر 1964.

الفهارس

تنبيـــه :

لم نفهرس اسم الرسول صلى الله عليه وسلم ولا اسم الجزائر، والمغرب حمادوش لكثرة ورودها. كذلك لم نفهرس الأسماء الواردة في التعاليق.

أ ـ فهرس الأشخـــاص

ـ أ ـ

آسيا (اخت المؤلف) 18

ابراهيم باشا 61ـ62ـ63ـ64ـ67ـ75

أبو راس 5ـ6ـ13

ابيقراط 85

أحمد الاصرم القيرواني 65

أحمد البوني 13ـ60ـ65ـ67ـ68

أحمد الدباغ (عم المؤلف) 19

أحمد الريفي 43ـ49ـ50ـ59ـ60ـ64ـ69ـ70ـ77

أحمد الزروق البوني 67

أحمد السرايري 26ـ73

أحمد بن سعيد قدورة 68

أحمد الصفار 19

أحمد بن العربي بن الحاج 72

أحمد بن عمار 5ـ6ـ13ـ17ـ32ـ33ـ34ـ46ـ59ـ64ـ67ـ78ـ88ـ97ـ98

أحمد العمالي 34ـ67

أحمد بن المبارك 15ـ27ـ43ـ74ـ78ـ87ـ88ـ89

أحمد بن مراد التركي 80

أحمد بن مسعود 67

أحمد الورززي 17ـ25ـ30ـ32ـ34ـ60ـ64ـ65ـ67ـ72ـ73ـ78ـ79ـ87ـ88ـ89ـ97ـ98

أحمد بن يعقوب 72ـ89

الادريسي 82

اسحاق باشا 62

اسماعيل (السلطان) 27ـ42ـ73
الأوجه أحمد باشا 16
أوزن علي 11ـ12

- ب -

بثينة 95
البرزلي 86
بركات بن باديس 68
بروكلمان 15
البسكري 86
بوحنك (الباي) 12
بول 82
بومدين المكناسي 72
البيروني 37
ابن البيطار 37ـ82

- ج -

الجاحظ 86
جلال الدين عبدالرزاق 17

ح

ابن الحاج موسى 61
الحسن (ولد المؤلف) 21

حسن كيلاني 12
الحسن بن مسعود اليوسي 72
الحسين (ولد المؤلف) 21
حسين العنابي 13
الحسين الورتلاني 13_79
حنين بن اسحاق 81_86
- خ -
الخبيصي 27
خليفة بن حسن القهاري 13
خليل بن اسحاق 28
خونزاليز 15_16_57_78
- د -
داود الانطاكي 37_82_83_86
الدميري 86
ديوسكوريدس 82
- ر -
الرازي 37
الراشد بالله 28
ابن رشد 86
رضوان افندي 39
- ز -
الحاج الزروق (المفتي) 34_67_76
زروق 82
زهرا (زوج المؤلف) 20_21_95

- س -

سحنون بن عثمان الونشريسي 68

سعيد الحميري 72

سعيد قدورة 5_68

السنوسي 27_82_89

ابن سهل 37

ابن سينا 37_80_82_83_86

- ش -

الشاذلي 86

- ص -

ابن صابر التلمساني 68

صالح باي 12_13

- ط -

الطيب الوزاني 49

- ع -

عبدالحي الكتاني 58

عبدالرحمان الثعالبي 49_65

عبدالرحمن الزروق 34_67

عبدالرحمن الشارف المازوني 33_64_67

عبدالكريم الفكون 6

عبدالرحمن المرتضى 68

عبدالسلام الصفاقصي 68
عبدالسلام القادري 72
عبدالسلام القباب 26_27_73
عبد القادر الراشدي 13
عبدالقادر الفاسي 26_27_73
عبدالقادر بن كرشال 68
عبدالقادر بوخريص 27_74
عبدالكريم الفكرون 6
عبدالله بن اسماعيل (السلطان) 20_22_23_43_44_49_50_60_64_69_70_71
عبدالله بلك باشي 62
عبدالله جنان 30_73
عبدالملك بن ابراهيم البرنوصي 33_67
عبدالملك التجمعوتي 72
عبدالواحد الريفي 64_71
عبدالوهاب ادراق 27_37_42_73_78
عبدي باشا 62
عثمان خان 75
عثمان بن عفان 75
ابن عثمان 75 .
العربي بن أحمد بردلة 72
العطار 76
العلج حسن 25_38
علي بن أبي طالب 18_22_45
علي باي (تونس) 64_74

ابن علي (المفتى) 5_6_13_22_32_34_45_34_45_46_49_60_66_79
علي بوصبع (باشا) 12_57
علي الحرار 19
علي الريف 48_49_79
ابن علي الشريف 13
علي بن عبدالقادر الأمين 13
علي بن محمد بركة 72
العياشي 85

- غ -

غاليان 82_85
غبريال كولان 6_15_17_18_59_80_83

- ف -

الفارابي 37
فاطمة (زوج المؤلف) 20
فاطمة الزهراء 50

ق -
أبو القاسم بن يوسف الحسني 82_86
القزويني 33_67
القلصادي 29_30_31

- ل -

لوسيان ليكليرك 6_15_16_40_56_80_82_83_85_86

- م -

ابن ماسويه 82
المتنبي 40
محمد بن أحمد المنساوي 72
محمد بن أحمد القسنطيني 72
محمد باي (تونس) 64_65_74
محمد البناني 37
محمد البناني 24_25_26_30_41_72_73_78_78_101_103
محمد بكداش (باشا) 13_68_76
محمد بوزوبع التلمساني 72
محمد البوزجاني 37
محمد بن البونباجي 25_38
محمد بن جعدون 13
محمد بن حسين (المفتى) 17_33_67_103_105
محمد الحنفي 31_67
محمد بن حوا 13
محمد الدباغ (والد المؤلف) 19_20
محمد زيتونة 24_74
محمد بن سعيد قدورة 68
محمد بن سيدي الهادي 34_67

محمد بن المسيسنى 67
محمد الشافعي الباجي 65_74
محمد بن الشاهد _13
محمد بن الصغير 72
محمد الطيب الفاسي 72
محمد بن عثمان (باشا) 12
محمد بن عبدالرحمن التارزي 72
محمد بن عبدالمؤمن 63_68
محمد بن عبدالقادر الفاسي 72
محمد بن العنابي 5
محمد فريرة (الذباح) 12
محمد بن قاسم بن زاكور 72
محمد القسنطيني 27_74
محمد الكبير (الباي) 76.
محمد كنجل 25_36
محمد بن محمد بن ناصر 72
محمد المقري 68
محمد بن ميمون 13_24_28_29_31_32_34_45_46_59_60_63_66_76_78_101_79
محمد بن نيكرو 13_32
محمود باي (تونس) 64
محمود خان (السلطان) 14_75
المستضيء بنور الله 70
ابن المسراتي 12_64
مصطفى بوشلاغم (الباي) 12

مصطفى الوزناجي (الباي) 12
أبو معشر الفلكي 37
ابن المفتى 13ـ76
المهدي البوعبدلي 85

- ي -

يحي الشاوي 68

ب ـ فهرس الأمـاكـن

ـ أ ـ

أوروبا 14ـ40ـ82
اسبانيا 11
اسطانبول 62
افريقية 12
الاسكندرية 63ـ106
الأندلس 12

ـ ب ـ

باب الجزيرة 25ـ38
باب الواد 25ـ38ـ100
باريس 78
بوزريعة 25ـ78

ـ ت ـ

التالاملى 38ـ78
تطوان 11–19–24–25–26–27–30–34–35–36–41–44–47–48–59–64–68–69–71–72–73–79–92–95
تونس 11–13–14–23–64–65–74–75

- ج -

جامع الباشا 24
جامع القصبة 24
الجامع الكبير 14-19-28-31-34-35-59-62-64-65-79-67
الجامع الكبير مكناس 26-73
جامع النجارين مكناس 26-73
جبل بومعزة 25-36-78
جبل طارق 15-68

- ح -

الحامة 38-78
الحجاز 11-14

- د -

الدنمارك 12-63

- ر -

رشيد 11-24-57-83-106
رومة 82

- ز -

زاوة 14-63

- س -
سباو 63-78
سوسة 23-74
سورية 82
- ض -
ضريح عبدالرحمان الثعالبي 100
- ط -
طرابلس 14
ع
عنابة 67
- ف -
فاس 11-13-27-30-35-36-42-43-59-70-71-73-87-92-100
فرنسا 83
- ق -
القاهرة 11-13
قبة المولى ادريس 71-100
قسنطينة 13-31-68
- م -
مدرسة الجامع الكبير 25-87-97
مصر 14-23-24-36-57-82-85-106
معسكر 64

مكـــة 72
مكتب الشماعين 21
مكتب العمالي 21
مكناس 11–26–30–41–47–48–71–73–93–101

- و -

وادي الكيتان 49–71
وهران 11–64–82

- ي -

اليونان 37

ج ـ فهرس الكتـــب

ـ أ ـ

الاتقان للسيوطي 28
اسانيد البناني 30–58–61–72–75–78
اسانيد الصباغ 58–61–74–78
الفية العراقي 26–73
الفية ابن مالك 87
الاكتفاء لابن الكردبوس 28–31–58–75
الانس الجليل للعليمى 28–58–75–79
انس العشيق 28

ـ ب ـ

بغية الأديب 54

ـ ت ـ

تاريخ الدول للملطى 29–37
تأليف في دعوتي الفاتحة واللطيف 55
تأليف في الرخامة الظلية 39–54
تأليف في الرزنامة 39–54

تأليف في الاسطرلاب 54
تأليف في الأعشاب 54
تأليف في علم البلوط 54
تأليف في علم البونبة 55
تأليف في الفلك 54
تأليف في القوس 54
تأليف في صورة الكرة الأرضية 54
تأليف في الطاعون 54
تأليف عبدالرحمن الفاسي في البونبة 29-38
تحفة الحكام لابن عاصم 28
التحفة المرضية 76-78
التذكرة للانطاكي 82
تعديل المزاج 23-49-52-53-56-57-85-86
تقييدات ابن المفتى 76
تعليق على الفاظ الدبباجة 54

- ث -

الثغر الجماني 76

- ج -

الجدل للسمر قندي 29
جفر البسطامي 29-31
الجوهر المكنون من بحر القانون 37-38-52-53-54-56-80-81-84

- أ -

حاشية عبدالرحمن الفاسي 30
حاشية حسن اليوسي 30
حزب البحر للشاذلي 102
حضرة الارتباح لابن الخطيب (؟) 28

- خ -

الخبيصي في المنطق 27-29-74-86

- د -

الدرر على المختصر 26-32-55-65-67-74-87-88-89-97
الدر الفائق للحريفيش 29-59
ديوان ابن حمادوش 40-41-45-46-55
ديوان ابن علي 6

- ر -

رجز (للمؤلف) 44
الرسالة لابن أبي زيد القيرواني 28
الرسالة القشيرية 29
روضة الأزهار للجادري 29-30

- س -

السانح (للمؤلف) 55
السيرة للكلاعي 28-30
السيرة للنووي 28

- ش -
شرح ايساغوجي 30-86
شرح ابن رشد على منظومة ابن سينا 29
شرح السنوسي على الحباك 29
شرح الشمائل لابن مخلص 29
شرح شيخ الاسلام على المنفرجة 30
شرح على قصيدة الربع على كردفر 54
شرح على منظومة ابن غرنوط 55
شرح ميارة على لامية الزقاق 30
الشفاء لعياض 29
شمائل الترمذى 29

- ص -

صحيح البجاري 28-31-61-65-72
صلاة ابن مشيش 103

- ع -

العقيدة الكبرى للسنوسي 87-89

- ف -

فهرسة البناني 72
فتح المجيب 55

- ق -

القانون لابن سينا 29-82
قصيدة مالك بن المرحل 29
قصيدة للمؤلف في ادراق 29-42
قصيدة للمؤلف في البناني 41
قصيدة للمؤلف في أولاد مختار 41
قصيدة للمؤلف في الحمى النافض 42
قصيدة للمؤلف في أحمد بن المبارك 43
قصيدة للمؤلف في الحنين 44-95
قصيدة للمؤلف في الهجاء 45
قصيدة للمؤلف اخرى في احمد بن المبارك 43
قصيدة للمؤلف في السلطان عبدالله 20-22-23-43-60
قصيدة للمؤلف اخرى له فيه 44

- ك -

كارطة الرياح 39-54
كتاب الحباك في الاسطرلاب 31
كتاب رضوان افندي 39-54
كتاب السراج للاخضري 68
كتاب السطى على ذوات الاسما 29
كتاب ابن فارس في احوال المصطفى 30
كتاب القلصادي في الرياضيات 29-30

كتاب الطلاسم لابن البناء 29
كشف الرموز 6-22-37-52-53-56-79-80-81-83-84-86
كفاية المتحفظ للاجدابي 29

- ل -

لامية الزقاق 30
لسان المقال (رحلة المؤلف) 55-56-57
لطائف اخبار الأول للاسحاقي 28
لغز البوني 60-65
لواء النصر لابن عمار 78

- م -

مباحث الذكرى (للمؤلف) 55-89
مختصر خليل 28-73
مختصر السنوسي 27-29-30-61-74-86-88
مختصر القزويني 30
مسائل ابن حجة 29-31
مضحكات ابن عاصم 30
مفيد الحكام لابن هشام 30
مقالات اقليدس 29-61
مقامات الحريري 29
المقامة الحالية (للمؤلف) 47
لمقامة الهركلية (للمؤلف) 48 72 93

مقامة وصفية (للمؤلف) 47
المقنع لابي مقرع 30
منظومة السيوطي في اجداد الرسول 30
المنوي عن الفية العراقي 30

- ن -

النجاح لابن سينا 29
نحلة اللبيب لابن عمار 76-78
نزهة الانظار للورتلاني 76
نظم فصيح ثعلب 29
نظم مقالات إقليدس (للمؤلف) 45

- و -

وثائق الغرناطي 28

محتوى الكتاب

المـقدمـة 5

القسم الأول : حياته 9

1 ـ عصره 11

2 ـ أولياته 15

3 ـ أسرته وحرفتها 18

4 ـ زواجه وأولاده 20

5 ـ ثقافته وأسفاره 21

6 ـ شيوخه 24

7 ـ مطالعاته الشخصية 28

8 ـ تلاميذه 30

9 ـ خصومه وأصدقاؤه 31

10 ـ وظائفه 34

11 ـ تجاربه العلمية 35

12 ـ شعره 40

13 ـ مقاماته 46

14 ـ هو والتصوف 48

القسم الثاني : آثاره 51

1 ـ قائمة مؤلفاته 53

أ ـ في العلوم الطبية والرياضية 54

ب ـ في موضوعات أخرى 55

2 ـ الرحلة (لسان المقال) وأجزاؤها 56

أقسام الجزء الثاني ومنهجه وأسلوبه ومصادره 58

أخبار الجزائر فيها 61

بعض العادات الجزائرية 65

أخبار العلماء الجزائريين 66

ابن حمادوش والمغرب 68

بعض التقاليد المغربية 71

علماء المغرب 72

أحداث أخرى 74

قمة الرحلة 76

3 ـ كتابه كشف الرموز 79

4 ـ كتابه تعديل المزاج 85

5 ـ كتاباه في المنطق والتوحيد 86

القسم الثالث : نصوص منه وعنه 91

المقامة الهركلية 93
حنين(قصيدة له)..... 95
تقريظ أحمد بن عمار لكتابه (الدرر على المختصر)..... 97
عادة أهل الجزائر ليلة القدر 99
من عادات أهل المغرب (خاصة فاس) 100
اجازة البناني له 101
تعزية المفتى محمد بن حسين له على ولده 103
بعض المصادر 106
فهرس الاعلام 110
فهرس الأماكن 119
فهرس الكتب 123
محتوى الكتاب 131

كتب أخرى للمؤلف

في الأدب:

- النصر للجزائر (شعر)، دار الفكر، القاهرة، 1957 (نفد)
- ثائر وحب (شعر)، دار الآداب (بيروت) 1977 ط 2 (نفد)
- محمد العيد آل خليفة، رائد الشعر الجزائري (دار المعارف) مصر، 1976، ط 2 (نفد)
- محمد الشاذلي القسنطيني (من شعره ورسائله)، الشركة الوطنية، الجزائر 1974 (نفد)
- دراسات في الأدب الجزائري الحديث (دار الآداب، بيروت) 1977، ط 2 (نفد)
- حكاية العشاق، تحقيق، الشركة الوطنية،الجزائر، 1977 (نفد)
- تجارب في الأدب والرحلة (تحت الطبع)

في التاريخ:

- الحركة الوطنية الجزائرية الجزء الثاني والثالث معهد البحوث والدراسات العربية،القاهرة، 1977 ط 2 ، (نفدا)
- تاريخ الجزائر الثقافي الجزء الأول والثاني الشركة الوطنية، الجزائر، 1981
- محاضرات في تاريخ الجزائر (بداية الاحتلال)، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1976، ط 2 ، (نفد)
- أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الشركة الوطنية، الجزائر، 1978 (نفد) ط 2 تحت الطبع
- حياة الأمير عبدالقادر تأليف العقيد شارل هنري تشرشل الدار التونسية للنشر، تونس، 1974 (نفد)

دراسات عامة:

- منطلقات فكرية، الدار العربية للكتاب تونس ـ ليبيا ، 1976 (نفد)
- المفتي ابن العنابي رائد الاصلاح الاسلامي، الشركة الوطنية، الجزائر، 1976
- رحلة ابن حمادوش الجزائري (لسان المقال) ـ معدة للطبع ـ

انجز طبعه على مطابع
ديوان المطبوعات الجامعية
29 :نهج ابو نواس ـ حيدرة
الجزائر العاصمة

رقم النشر : 776 / 05 ـ 82